

الحمية الإسلامية في الانتصاليات كاهن تيمية

لأبي المظفر يوسف بن محمد العبادي السرمزي
(٦٩٦-٧٢٦ هـ)

وتليها

وصية في الرد على النقي السبكي والدفاع عن ابن تيمية
لأبي عبد الله محمد بن يوسف الشافعي اليمني

تقديم وتعليق

صلاح الدين مقبول احمد



مجمع البحوث العلمية الإسلامية

تحت إشراف

مركز "أبوالكلام آزاد" للتوعية الإسلامية

٨/١ جوغاباتي، نيودلهي-١١٠٠٢٥ (الهند)

الحمية الإسلامية في الانتصاليات كهابن تيمية

لأبي المظفر يوسف بن محمد العبادي السرمزي
(٦٩٦-٧٢٦ هـ)

وتليها

وصية في الرد على النقي السبكي والرداع عن ابن تيمية
لأبي عبد الله محمد بن يوسف الشافعي اليمني

تقديم وتعليق

صلاح الدين مقبول احمد



مجمع البحوث العلمية الإسلامية

تحت إشراف

مركز "أبوالكلام آزاد" للتوعية الإسلامية

٨/١ جوغاباتي، نيودلهي-١١٠٠٢٥ (الهند)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمية الإسلامية
في
الانتصالي كهابن تيمكة

سلسلة المطبوعات (١٤)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ — ١٩٩٢ م



مجمع البحوث العلمية الإسلامية

تحت إشراف

مركز "أبوالكلام آزاد" للتوعية الإسلامية

ISLAMIC SCIENTIFIC RESEARCH
ACADEMY

RUN BY

ABUL KALAM AZAD
ISLAMIC AWAKENING CENTRE

8/1, JOGABAI, NEW DELHI-110025 (INDIA)

POSTAL ADDRESS

4 JOGABAI, NEW DELHI-110025 (INDIA)

Telephone: (9111) 6842920

عنوان المراسلات :

٤ - جوغاباي - نيودلهي ١١٠٠٢٥ (الهند)

هاتف : ٦٨٤٢٩٢٠ (٩١١١)

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد :

فقد راودتني — منذ سنوات — فكرة نشر القصيدتين:

- * «الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية» للسرمري.
- * وقصيدة أبي عبدالله الشافعي في الموضوع نفسه.

وبدأت بالتعليق عليهما قبل العلوان البعثي الحاقدا على دولة الكويت وعندما خرجت منها بعد هذه الفاجعة الأليمة خروج المضطّر، فاتتني مسودتهما الناقصة هناك.

ولما اطمأنت وعاودني النشاط، علقت عليهما من جديد. واتجهت نيّتي إلى أن الحقهما بكتاب «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة» لوحدة الموضوع والهدف، ولكن حال دون ذلك حجم الكتاب المذكور.

وها أنا أقدم هاتين القصيدتين بشيء من الشرح والتوضيح في مجموعة مستقلة، مع مقدمة تحتوي على أمور، ومنها:

- * بيان سبب مهم من أسباب سقوط بغداد، وزوال الخلافة العباسية، ودور العناصر الشريرة في ذلك.

* سبب تأليف «منهاج السنة النبوية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، ومناقضة التقى السبكي هذا الكتاب، ووقيعته في مؤلفه، وهى السبب لنظم هاتين القصيدتين.

* تراجم الناظمين والتعريف بقصيديتهما.

* * *

أشكر الله سبحانه وتعالى أولاً، إذ وفقنى على إتمام هذه المجموعة تقديمًا وتعليقًا، ثم أشكر الإخوة الذين ساعدوني في النسخ والتصحيح، وخاصة الأخ الفاضل محمد عزيز الذى راجع القصيدتين فأجاد وأفاد.

ولا يفوتنى بهذه المناسبة أن أذكر دور فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن عبد الجبار الرحمانى (الرئيس العام لمركز «أبوالكلام آزاد» للتوعية الإسلامية بنيودلهي) في تنشيط «مجمع البحوث العلمية الإسلامية» بموافقته على طبع عديد من الكتب العربية والأردية والإنجليزية تحقيقاً وتأليفاً ودراسةً وترجمةً. فجزاه الله خيراً.

نظراً إلى أهمية المطبوعات النافعة في محيطنا أنوه بأن تقوم دور النشر بعد التعاون والتنسيق فيما بينها، بإصدار انتاجات المؤلفين القدامى منهم والمحدثين، حتى تظهر نشراتها حلقات متكاملة من كتب التراث المهمة، والرسائل العلمية، والبحوث الهادفة التى تخدم الدعوة على منهاج النبوة.

والله الموفق، وهو الهادى إلى سواء السبيل.

وصلّى الله على نبيّنا وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

صلاح الدين مقبول أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

إن للحق والعدل، والعزة والشرف، والمجد والكرامة تاريخاً، كما للجور والعدوان، والذلة والمهانة، والخيانة والندالة تاريخ. وشتان بين التاريخين: تاريخ حافل بالأعجاب والبطولات والآثر والمفاخر. وتاريخ مثقل بالأحقاد والنكسات، والمساوىء والمخازىء. ولكل من التاريخين عمالقة وأقزام.

عمالقة التاريخ الناصع من أصحاب القرون المشهود لها بالخير ومن تبعهم في العقيدة والدين، والعلم والثقافة، والمنهج والسلوك ... معروفون في كل زمان ومكان.

وأقزام التاريخ الأسود. المنافقون المندسّون في الصف الإسلامي — أيضاً — معروفون في كل عصر ومصر.

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [الفتح: ٢٥]

* * *

الصراع بين الحق والباطل قديم قديم وجود الإنسان على وجه هذه المعمورة، وزاد هذا الصراع شراسةً وشرارةً بعد مجيء الإسلام كآخر الرسائل السماوية إلى الإنسانية جمعاء.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

وكانت الغلبة والتمكين، بفضل الله العلي القدير، في نهاية المطاف
للحق. ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

[الإسراء: ٨١]

حصل من هذه الغلبة التمكين في القلب المؤمن، ولكن بقي التمكين
في القلب المنافق لكونه كالكوز مجحياً، محل استفهام وتساؤل. فنشأ من
رواسبه أمثال عبدالله بن سبأ اليهودي الماكر، وابن العلقمي وزير المستعصم
آخر خلفاء بني العباس، والنصير الطوسي الباطني وزير هلاكو، وتلميذه ابن
المطهر الحلبي الرافضي وغيرهم من المنافقين الذين خانوا البلاد والعباد، فباءوا
بغضب من الله إلى أبد الآباد.

* * *

منيت الأمة الإسلامية على مدار تاريخها الطويل بمحن وقلاقل،
وحروب ومعارك، ونكبات ونكسات لا يحصيها إلا عالم الغيب والشهادة —
سبحانه وتعالى —، بدءاً بمؤامرة عبدالله بن سبأ اليهودي المتكبر المندس في
الصف الإسلامي — إلى مالا نهاية.

ولكن وطأة زوال بغداد (سنة ٦٥٦ هـ) كانت أشد وأنكى على الأمة،
لأنها نخرت جسمها، وهدت كيانها، وزعزعت ثقتها بقواتها العسكرية
ومواردها الاقتصادية، وشخصيتها الإسلامية.

هل كان الاحتلال العسكري لدار الخلافة، واستلاب الدولة العباسية بكاملها، بل محوها من خريطة المعمورة أمراً عفويا؟

معلوم أن «هلاكو» كان من العبقرات الشريفة في العالم، إذن نزعته التوسعية التي ورثها من أجداده لم تكن غريبة.

إنما الغريب في هذه الكارثة الفظيعة المؤلمة الوجيعة، ما حلّ بالمسلمين العزل — رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً —، من الإذلال والإهانة، واستحلال الحرمات واستباحة الأعراس والأموال، وسفك الدماء و«قتل الأبرياء»، ماتقشعر منه الجلود وتتفطر منه القلوب حزناً وأسى.

وزد إلى ذلك أن الخليفة استسلم بنفسه قبل دخول «هلاكو» في بغداد من غير أى مقاومة سرية أو مواجهة عسكرية.
إذن لماذا هذا كله!

* * *

هنا يقف الإنسان واجماً أمام هذه الواقعة الفاجعة. وتجول في خاطره تساؤلات كثيرة، بحثاً عن الإجابة عنها:

لماذا كانت هذه النكاية في المسلمين؟

لماذا تأججوا عليهم حقداً وحنقا، فاستباحوا أموالهم وأعراضهم

ودمائهم؟

لماذا سلبوا البلاد من أهلها ووسّووها إلى غير أهلها؟

لماذا ... ولماذا ...؟؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات سهل ميسور على الملمين بالعناصر
الشريرة في طبّات التاريخ الإسلامي، التي تعمل في الظلام عملاً دعواً لنقض
عرى الإسلام وإضعاف أهله وإبادتهم دونما ملل وكلل وحياء وخجل.

حدث أن تولّى محمد بن العلقمي وزارة المستعصم بالله (آخر خلفاء
بنى العباس) وكان ابن العلقمي علقماً لأهل السنة، وشيعياً جليلاً ورافضياً
خيئناً، وفاضلاً في الأدب والإنشاء،^(١) فاستغلّ منصبه في الدولة وحظوته
عند الخليفة، وبدأ ينفث سمومه رويداً رويداً في قلب الخلافة العباسية، حتى
تفاقم شره وتسرب إلى مواقع حساسة في الدولة ولما أحكم قبضته عليها لم
يتأخر عن تمهيد السبيل لتدمير الخلافة حسب خطته في مراحل، ومن أهمها:

• **تقليل قوام الجيش:** تهتم الدول من قديم الزمان بتكوين الجيوش التي تكون
على مستوى رفيع من التنظيم والإدارة والهمة والإرادة، والشجاعة والمغامرة لأن
الجيش يعتبر عموداً فقرياً للدولة، وشوكتها تظهر أمام العالم بجيشها القوي
وعدته وعتاده: ﴿وَأَعِظُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ
يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّى إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

(١) صدق في ابن العلقمي ما هجابه سهل بن بركة أبا نوح النصراني الكاتب:
بأبي وأمي ضاعت الأحلام أم ضاعت الأذهان والأفهام
من صد عن دين النبي محمد أله بأمر المسلمين قيام
إلا تكن أسيافهم مشهورة فينا فتلك سيوفهم أقلام
لا، والله بل جمع ابن العلقمي بين السيف والقلم لإبادة المسلمين فكان أدهى بكثير
وأنكى من الكاتب النصراني المذكور.

[الأنفال: ٦٠] شعوراً بواجبه التفت ابن العلقمى إلى تقليل الجيش وإهانتته وإذلاله لكسر شوكة الخلافة.. قال ابن كثير — رحمه الله —:

«وكان الوزير ابن العلقمى قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر (والدالمستعصم) قريباً من مائة ألف مقاتل ... فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف» (٢).

« معاداة أهل السنة: زادت تحركات العناصر الشريفة في الدولة تحت وصاية الوزير ابن العلقمى ضد علماء السنة وأكابر البلد. وإذا انضمت إلى ذلك تصرفاته المهبولة المفرضة ضد الجيش وعامة المسلمين، كان يكفي لإثارة غضب الجماهير على الرافضة، وحصل ذلك بالفعل. قال ابن كثير:

«وفيها [أي سنة ٦٥٥ هـ] كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنة، فنهبت الكرخ ودور الرافضة حتى دور قرابات الوزير ابن العلقمى، وكان ذلك من أقوى الأسباب في ممالأته للتتار» (٣)

* * *

(٢) البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٣) وقال أيضا — هو يصف ذلهم وهوانهم عند الوزير الرافضى —:

«وقد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد.... وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمى الرافضى...» (المصدر نفسه: ١٣/ ٢٠١)

(٣) البداية والنهاية (١٣/ ١٩٦) وقال أيضا:

«فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذى لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد، وإلى هذه الأوقات» (المصدر المذكور: ١٣/ ٢٠١).

لَمَّا تَوَجَّسَ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ إِرهاصات اليقظة في أهل السنة. ورأى ذلَّ
نفسه وهوان أقربائه عليهم، وعلم أن البهت والمؤامرة، والنذالة والخيانة دورها
سينتهى: «... كاتب الشار وأطمعهم في أخذ البلاد وسهّل عليهم ذلك،
وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال. وذلك كلّه طمعاً منه
أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر بدعة الرافضة، وأن يقيم خليفة من
الفاطميين، وأن يبید العلماء والمفتين...» (٤)

لقد زحف «هلاكو» مع مائتي ألف مقاتل إلى بغداد، وأوّل من برز
إليه مهنتاً له ومرحّباً به هو ابن العلقمى، ثمّ رجّع وأشار على الخليفة بالمشول
بين يديه لتقع المصالحة، فخرج مع سبعمائة راكب من أعيان الدولة وأكابر
البلد فقتلوا عن بكرة أبيهم.

وأشار ابن العلقمى والنصير الطوسى والملاّ من الرافضة وغيرهم من
المنافقين على «هلاكو» بقتل الخليفة: «فقتلوه رفساً... وقيل: بل خنق،
ويقال: بل أغرق، — فالله أعلم — فباءوا بإثمهم وإثم من كان معه من سادات
العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولى الحل والعقد ببلادهم...» (٥)

* * *

تمّ احتلال بغداد، بعد قتل الخليفة وأكابر الدولة وأعيان البلد بدون
مقاومة فلماذا وضعوا السيف في رقاب الأبرياء من السلميين؟

(٤) المصدر نفسه (١٣/ ٢٠٢).

(٥) المصدر المذكور (١٣/ ٢٠٢).

أشار أولئك الملأ من الرافضة على «هلاكو» بقتلهم شفاء لغيظهم منهم. قال ابن كثير — رحمه الله —:

* ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان.

* ودخل كثير من الناس في الآبار، وأماكن الحشوش، وقنى الوسخ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون.

* وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحتها التتار، إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهبون منهم إلى أعلى الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجرى الميازيب من الدماء في الأزقة.

* ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمى الرافضى...

* وأسر من دار الخلافة من الأبقار ما يقارب ألف بكر فيما قيل، والله أعلم.

* وقتل أستاذ دار الخلافة — وكان عدو الوزير —، وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة، وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد.

* وكان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بنى العباس، فيخرج بأولاده ونسائه، فيذبح كما تذبح الشاة، ويأسرون من يختارون من بناته وجواريه. (٦)

(٦) المصدر المذكور (١٣/ ٢٠٢ — ٢٠٣)

كان دخولهم إلى بغداد في أواخر المحرم بمائتي ألف مقاتل ممن لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وجيوش بغداد في غاية القلّة ونهاية الذلّة لا يبلغون عشرة آلاف فارس. وما زال السيف يقتل أهل بغداد أربعين يوماً.

وقد اختلف الناس في كمّية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الواقعة. فقيل: ثمانمائة ألف. وقيل: ألف ألف وثمانمائة ألف وقيل: بلغت القتلى ألفي ألف نفس. فإن الله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العظيم. (٧)

* * *

«ولما انقضى الأمر المقدّر، وانقضت الأربعون يوماً بقيت بغداد خاويةً على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس [بعد ما كانت آنس المدن]، والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيّرت صورهم، وأنتن من جيفهم البلد وتغيّر الهواء، فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدّى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغيّر الجو وفساد الريح. فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون فإن الله وإنا إليه راجعون.

(٧) المصدر المذكور (١٣/ ٢٠٠ - ٢٠٢). ويقال: «إن هلكوا أمر بعد ذلك بإحصاء ضحايا الأمة الإسلامية هناك فزاد عدد من أحصوه من القتلى على ألف ألف وثمانمائة ألف، والذي لم يحصوه أضعاف ذلك» (حياة شيخ الإسلام بن تيمية للعلامة محمد بهجة البيطار (ص ١٣٣ المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ)

ولما نودى ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير
والقنى والمقابر كأنهم الموقى نبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضاً فلا
يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد، فتفانوا وتلاحقوا
عمن سبقهم من القتلى واجتمعوا تحت الثرى بأمر الذى ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ
وَأَخْفَى﴾، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴿ [طه: ٧ - ٨] ﴾ (٨)

كان وصول «هلاكو» إلى بغداد في ثانى عشر المحرم سنة ست
وخمسين وستائة، وحصل دخوله فيها في أواخر المحرم، ورحل هذا السلطان
المسلط عن بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقر ملكه.

وفوض أمر بغداد إلى الأمير على بهادر، وإلى الوزير ابن العلقمى فلم
يمهله الله - ولا أمهله - بل أخذه أخذ عزيز مقتدر في مستهل جمادى
الآخرة عن ثلاث وستين سنة، فمات هذا الشيعى الجلد والرافضى الخبيث
جهداً وغماً وحزناً وندماً، إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم.

فولى بعده الوزارة ولده عز الدين بن الفضل محمد ابن العلقمى
فألحقه الله بأبيه في بقية هذا العام. والله الحمد والمنة.

كان ابن العلقمى شديد الحنق على أهل السنة ودولتهم، فدبر هذه
المؤامرة الخبيثة للقضاء عليها، وأراد أيضاً أن يعطل المساجد والمدارس والربط
ببغداد، ويستمر بالمشاهد ومحال الرفض، وأن يبنى للرافضة مدرسة هائلة
ينشرون علمهم وعلمهم بها وعليها فلم يقدر الله تعالى على ذلك. والله غالب

(٨) المصدر المذكور (١٣/ ٢٠٣)

على أمره، وردّ كيده في نحره، وأذّله بعد العزّة القعساء وجعله ذنباً للنتار بعد أن كان وزيراً للخلفاء، واكتسب إثم من قتل بيغداد من الرجال والنساء والأطفال فالحكم لله العلي الكبير ربّ الأرض والسماء. (٩)

* * *

لما كان ابن العلقمى وزير المستعصم أراد النصير الطوسى دخول بغداد ونشر أفكاره المسمومة بمعاونة الوزير المذكور، وأنشأ قصيدة عربية في مدح المستعصم، وطلب من الوزير أن يعرضها على الخليفة. فلما علم ابن العلقمى مكروه، ودهاءه وعقله فخاف من قربه للخليفة فكتب ابن العلقمى سرّاً إلى ناصر الدين المحتشم (وزير السلطان علاء الدين الإسماعيلى الباطنى) الذى كان الطوسى عنده: بأنه ابتداء بالمراسلات عند الخليفة، وأنشأ قصيدة في مدحه، وأراد الخروج من عندك، وهذا لا يوافق رأى، فلا تغفل عن هذا. فلما قرأ المحتشم كتابه حبس النصير الطوسى. فلما أراد الخروج إلى علاء الدين ملك الإسماعيلية في حصن الموت سحب الطوسى معه محبوساً. فمكث المحقق عند الملك.

دان الطوسى بالولاء للوزير ناصر الدين المحتشم الإسماعيلى إلى أن أُلّف كتاباً سمّاه (الأخلاق الناصرية) وفيه الرخصة في شرب الخمر وما إلى ذلك.

(٩) المصدر المذكور (١٣/ ٢٠٢ - ٢٠٣، ٢١٢)

وإلى جانب صلة النصير الطوسي بالإسماعيلية — واعتناقه لمذهبهم
اتصل بهلاكه وأصبح مقرباً عنده وأشار عليه بقتل المستعصم وذبح المسلمين
بيغداد. (١٠)

«هذا البلاء الأعظم الذى وقع في دولة الإسلام وأمة المسلمين على يد
كفار التتار الوثنيين هو الذى وصفه مؤرخ الشيعة [الميرزا محمد باقر]
الخوانسارى بلسان الشماتة والابتهاج في ترجمة النصير الطوسي:
«ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره (أى
الطوسي) للسلطان المحتشم ... ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال
الاستعداد إلى دارالسلام بغداد، لإرشاد العباد وإصلاح البلاد، وقطع دابر
سلسلة البغي والفساد، وإخماد نارالجور والإلباس بإبادة دائرة ملك بنى
العباس!! وإيقاع (القتل العام) من أتباع أولئك الطغام إلى أن أسال من
دمائهم الأقدار كأمثال الأنهار، فانهارها في ماء دجلة، ومنها إلى جهنم دار
البوار، ومحل الأشقياء الأشرار» (١١)

تصوروا ما كان بين ابن العلقمى والنصير الطوسي من نبوة ومنافرة

(١٠) راجع مقدمة الدكتور محمد رشاد سالم على كتاب «منهاج السنة النبوية في نقض كلام
الشيعة القدريّة» (١/ ٩٤ — ٩٥) نقلاً عن «روضات الجنات» للخو انسارى (٥٧٩ —
٥٨٢) و «دائرة المعارف الإسلامية»: مادة «الإسماعيلية» (١٨٩ — ١٩٠)
وراجع أيضاً: «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٦٧).

(١١) راجع «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» للبيطار (١٣٢ — ١٣٣) وهذا الكلام نقله العلامة
محب الدين الخطيب — رحمه الله — عن «روضات الجنات» للخو انسارى (ص ٥٧٨
الطبعة الثانية)

لأجل مصالحتها الشخصية الدنيئة حتى وصل الأمر إلى الوشاية والنكاية والحبس والسجن.

ولكن لما كانت القضية ضد الدولة العباسية، ومحوها من الوجود، وإبادة العباد وذلك البلاد، كيف اجتمع هؤلاء الملاء من الرافضة والإسماعيلية على الشر والفساد، ناسين كل ما حصل بينهم من الجفوة والعناد؟!

زالت الدولة العباسية بمؤامرة داخلية دنيئة نسج خيوطها الوزير ابن العلقمي لحنقه الشديد على أهل السنة ودولتهم، وأعانها عليها النصير الطوسي وزير «هلاكو» شماتة بالمسلمين وتم الانتصار العسكري على بغداد وما تلاه من الغزوالفكري أشد وأنكى.

* * *

تتوارث الشرور والأحقاد كما تتوارث الحسنات والفضائل. لما وجدت هذه الطغمة الضالة المضلة طريقاً إلى مناصب الدولة بدأت تبيض وتفرخ، وكانت دائماً بالمرصاد لتتصيد سفهاء الأحلام والرعاة الطغام ليقدموا خدمة لدعاة الشر والفساد والإباحية والانحلال.

شرعت هذه الشراذم الباغية في الغزوالفكري لهذه المناطق الإسلامية بعدما حصلت لها الانتصارات العسكرية، وسنحت فرصة سانحة لتلميذ^(١٢)

(١٢) وقد كانت صلة ابن المطهر الحلبي بالنصير الطوسي وثيقة، وكان له أعمق الاحترام والتقدير، فهو يقول عنه في نسخة إجازته الكبيرة لسادات بني زهرة: «وكان هذا الشيخ أفضل أهل عصره في العلوم العقلية... وكان أشرف من شاهدناه في الأخلاق قرأت عليه إلهيات «الشفاء» لابن سينا...» (منهاج السنة: ١ / ٩٢ مقدمة المحقق) نقلاً عن «روضات الجنات (ص ٥٧٨)، والبداية والنهاية (١٤ / ٧٧)، والدرر الكامنة لابن حجر (٢ / ٧١).

النصير الطوسي الباطني: جمال الدين ابن المطهر الحلبي الرافضي (٦٤٨) —
٧٢٦ هـ) (أحد رموز الدعوة إلى الرفض والتشيع) للتقرب إلى الملك
(خدابنده) بن أرغون بن أبغا بن هلاكو بن طلو بن جنكيز خان المغولي،
فأفرغ جهده في إضلاله بتقولاته إلى أن نجح في مهمته وترفض الملك. (١٣)

* * *

كيف انطلى مذهبه الفاسد على هذا الملك المائع (١٤) في عقيدته

ودينه؟

ولماذا؟

فيه روايتان:

(١) اهتم السلطان بمعرفة مذهب الإمامية، وانعقدت المناظرة بين السنة
والشيعة فغلب ابن المطهر الحلبي بحجته على خصمه فترفض الملك
(خدابنده).

(١٣) قال ابن كثير: «أظهر الرفض، أقام سنة على السنة ثم تحول إلى الرفض... أقام شعائره في
بلاده ولم يزل على هذا المذهب الفاسد إلى أن مات في هذه السنة (أى ٦١٦ هـ). وقد
جرت في أيامه فتن كبار ومصائب عظام، فأراح الله منه العباد والبلا. وقام في الملك
بعده ولده أبو سعيد... ولعب كثير من الناس به في أول دولته ثم عدل إلى العدل وإقامة
السنة وأمر بإقامة الخطبة بالترضى عن الشيخين... ففرح الناس بذلك وسكنت بذلك
الفتن والشورور (البداية والنهاية: ١٤/ ٧٧)

(١٤) نقل الدكتور محمد رشاد سالم في مقدمته على «منهاج السنة» (١/ ٩٦) عن بعض
الكتاب: أن (خدابنده) نشأ مسيحياً إذ عمد بأمر أمه «أروك خاتون»، وسمى «نيقولا»،
ثم اعتنق الإسلام على رغبة زوجته، ثم ارتد عن الإسلام برغبة ابن المطهر الحلبي الرافضي.

(٢) أن السلطان غضب يوماً من امرأته فطلقها ثلاثاً ثم ندم وجمع العلماء فقالوا: لا بدّ من محلّل.

فقال أحد وزرائه: إن عالماً بالحلّة يقول ببطلان هذا الطلاق، فبعث الملك إلى ابن المطهر الحلّي فأفتاه بأن الطلاق الذي أوقعه باطل، لأنه لم تتحقق شروطه، ومنها وجود شاهدين عدلين.

قال الخوانسارى:

«ثم شرع في البحث مع العلماء حتى ألزمهم جميعاً فتشيع الملك، وبعث إلى البلاد والأقاليم حتى يخطبوا بالأئمة الاثنى عشر، ويضربوا السكك على أسمائهم وينقشوها على أطراف المساجد والمشاهد منهم...»^(١٥)

وقد ارتفعت منزلة ابن المطهر بعد ذلك عند (خدابنده) حتى فاقت منزلة سائر العلماء المتصلين به. وكان يحرص على أن يلازمه على الدوام حتى أنه — كما روى الخوانسارى — أمر بإقامة مدرسة سيّارة له — ذات حجرات من الخيام — كانت تحمل مع موكب السلطان أينما ذهب^(١٦).

(١٥) منهاج السنة (١/ ٩٧ مقدمة التحقيق) نقلاً عن «روضات الجنات» (ص ١٧٥) وقال ابن كثير: «وفيها (أى في سنة ٧٠٩ هـ) أظهر ملك التتر (خدابنده) الرفض في بلاده، وأمر الخطباء أوّلاً أن لا يذكروا في خطبتهم إلا على بن أبى طالب — رضى الله عنه — وأهل بيته، ولما وصل خطيب بلاد الأرزج إلى هذا الموضع من خطبته بكى بكاءً وبكى الناس معه ونزل ولم يتمكن من إتمام الخطبة، فأقيم من أتمّها عنه، وصلى بالناس وظهر على الناس بتلك البلاد من أهل السنة أهل البدعة فإن الله وإنا إليه راجعون. ولم يحج فيها أحد من أهل الشام بسبب تخييط الدولة وكثرة الخلاف. (البداية والنهاية: ١٤/ ٥٦)

(١٦) المصدر المذكور (١/ ٩٨) عن «روضات الجنات» (١٧٥ — ١٧٦)

وقال ابن كثير:

«وحظي عنده جمال الدين ابن المطهر الحلبي تلميذ النصير الطوسي وأقطعه عدّة بلاد...» (١٧)

* * *

لقد استغلّ الحلبي حظوته عند الملك ووجاهته عند أعيان الدولة في ترويح مذهبه الفاسد.

وما كان له أن يصل إلى ما وصل إليه من المنزلة عند الملك، لولم يكن جمود المتفقهة في مسألة الطلاق المذكورة على الرأي المذهبي الذي ألحق بالأمة الإسلامية خسارة فادحة تتقاصر دونها كارثة زوال بغداد، ودفع تلك المنطقة إلى هوة الرفض والتشيع.

أما كان لهؤلاء المتفقهة وفي هذا الموقف الحرج أن يرجعوا إلى ما كان عليه الأمر في زمن النبي ﷺ، وخلافة أبي بكر، وصدر من خلافة عمر — رضى الله عنهما — وهو أن الطلاق الثلاث في مجلس واحد طلقة واحدة؟ (١٨) أما كان لهم أن يتعقلوا مؤامرة ابن المطهر الحلبي ضدهم بتطبيب خاطر الملك بحل شيعي في مسألة الطلاق هذه، وعندهم حل نبوي مهجور؟!

كان لهم أن يتفطنوا لهذا وذاك ولكن التعصب والجمود والعناد...

(١٧) البداية والنهاية (١٤/ ٧٧، ١٢٥)

(١٨) راجع «صحيح مسلم» (كتاب الطلاق)، ومسند أحمد (١/ ٣١٤).

لا أرى موجة هذا الردّة إلا نتيجة لمخالفتهم سنة النبي ﷺ:
﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]

* * *

إيغالا في مزيد من الغي والضلال ألف ابن المطهر الحلّي كتاب
«منهاج الكرامة في معرفة الإمامة» ليستفيد منه الملك المذكور في اعتقاده
الفاسد ومذهبه الكاسد (١٩)، وليدقّ به آخر مسمار في تابوته هو ومن تبعه
من الرعاع (والناس على دين ملوكهم)، فتكون لهم حسرة وندامة يوم القيامة،
ولات حين مناص:

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا.
يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]

* * *

تضمّن هذا الكتاب مقدّمة وستة فصول على النحو التالي:
* المقدمة: في بيان موضوع الكتاب، والغرض من تأليفه، وهو تقديمه
إلى الملك (خداينده).

(١٩) منهاج السنة (١/ ٧٤).

- * الأول: في نقل المذاهب في هذه المسألة.
 - * الثاني: في أن مذهب الإمامية واجب الاتباع.
 - * الثالث: في الأدلة على إمامة عليّ بعد الرسول ﷺ.
 - * الرابع: في باقى الأئمة الاثنى عشر.
 - * الخامس: في أن من تقدّمه لم يكن إماماً.
 - * السادس: في نسخ حججهم على إمامة أبى بكر (٢٠)
- ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ
يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]

* * *

نظراً إلى دور ابن المطهر الخضير، وحظوته البالغة عند الملك، وعدائه
السافر لأهل السنة، وتأثره الشديد بشيخه الغاشم: النصير الطوسى، وانطلاق
كتابه «منهاج الكرامة» على الجهلة من الناس — كان أهل السنة والجماعة في
غاية من القلق والحيرة، باحثين عمن يناقض كتابه بالأدلة الدامغة من النقل
والعقل لتكون على الرافضة حجة في الدنيا قبل الآخرة. فوق اختيارهم —
وعلى خبير وقعوا — على شيخ الإسلام، «فانتدب في الردّ عليه في مجلّدات أتى
فيها بما يبيهر العقول من الأشياء المليحة الحسنة، وهو كتاب حافل» (٢١)

* * *

(٢٠) منهاج السنة (١/ ٧٣ — ٧٥) ومقدمته لمحققه الدكتور محمد رشاد (١/ ٩٩ — ١٠٠).

(٢١) البداية والنهاية (١٤/ ١٢٥).

قال شيخ الإسلام في مقدمة «منهاج السنة»:

« أما بعد: فإنه قد أحضر إليّ طائفة من أهل السنة والجماعة كتاباً صنّفه بعض شيوخ الرافضة في عصره منفقاً لهذه البضاعة يدعو به إلى مذهب الرافضة الإمامية ...

وذكر من أحضر هذا الكتاب أنه من أعظم الأسباب في تقرير مذاهبهم عند من مال إليهم من الملوك وغيرهم، وقد صنّفه للملك المعروف الذي سمّاه فيه (خدابنده)، وطلبوا مني بيان ما في هذا الكتاب من الضلال وباطل الخطاب لما في ذلك من نصر عباد الله المؤمنين، وبيان بطلان أقوال المفتريين الملحدين.

فأخبرتهم أن هذا الكتاب وإن كان من أعلى ما يقولون في باب الحجة والدليل فالقوم من أضلّ الناس عن سواء السبيل. فإن الأدلة إما نقلية وإما عقلية، والقوم من أضلّ الناس في المنقول والمعقول في المذاهب والتقارير. وهم من أشبه الناس بمن قال الله فيهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠] (٢٢)

* * *

لقد قيض الله تعالى شيخ الإسلام لتقويض ما شيّده ابن المطهر الحلّي على شفاجرف هار، بالأدلة الدامغة والحجج الداحضة من النقل والعقل في

(٢٢) منهاج السنة (١/ ٤ - ٨)

«منهاج السنة». وهو كتاب قيم عظيم حافل جليل في غاية الجودة والإفادة مع استطرادات نافعة لاتوجد في غيره.

والحق أن كتاب «منهاج السنة» أثلج صدور أهل السنة وأوغر قلوب الرافضة وغيرهم من أهل البدع والأهواء. (٢٣)

* * *

قال ابن كثير تلميذ شيخ الإسلام:

«وله (أى لابن المطهر الحلبي) كتاب «منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة» خبط فيه في المعقول والمنقول، ولم يدر كيف يتوجه، إذ خرج عن

(٢٣) كان محمد زاهد الكوثري الجركسي (١٢٩٦ - ١٣٧١ هـ) حامل لواء التجهم وألذ أعداء السنة ودعاتها في العصر الحاضر - معروفاً بعدائه السافر لعلماء الأمة الأعلام، خاصة لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وما من كلمة نابية أو شتيمة مهجورة إلا واستعملها في حقّه وحقّ تلميذه ابن قيم الجوزية، وإمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب وغيرهم من علماء السنة المتقدمين والمتأخرين.

لما رأى هذا المخلوق المتأجج حقداً وحنقاً على شيخ الإسلام أنه وفق توفيقاً عجيباً في رده على ابن المطهر الحلبي، وشذمته الضالّة، لم يتأخر في مسخ الحقيقة وتشويه التاريخ، وحاول بكل وقاحته أن يغيّر فضيلة برذيلة يكذبها التاريخ والواقع، ولكن المهم يشفى بها غيظه بدون حياء، رضى الناس أم أبوا.

لقد أنبرى علامة الشام محمد بهجة البيطار لهذا التشويه فكتب تحت عنوان:

«كذب مفضوح في كتاب مطبوع»

«لو كان هذا الرجل - الكوثري - ممن يتقى الله ويبالى خزي الدنيا ويوم الحساب، لما رضى لنفسه هذا الموقف الشاذ الذى وقفه من حملة القرآن، ودعاة السنة وحماها، ولما استباح لنفسه الكذب في التاريخ والتجنى على أئمة الدين ومفاخر المسلمين في كل العصور.

لا أطيل القول عليك أيها القارئ الكريم، إنما أنقل لك جملة مما قال في كتابه

= الأخير الذي سمّاه «إشفاق على أحكام الطلاق»...

فقد عرض في كتابه هذا لنايعة الإسلام الإمام ابن تيمية كدأبه في عامة ما يكتب، ولكن هذه الكتابة من أفضح ما كتب وأخزاه، قال — هداه الله — (٧٣): «ولولا شدة ابن تيمية في رده على ابن المطهر في مناجه، إلى أن بلغ به الأمر أن يتعرض لعلي بن أبي طالب — كرم الله وجهه — على الوجه الذي تراه في أوائل الجزء الثالث منه، بطريق ياباه كثير من أقحاح الخوارج مع توهين الأحاديث الجيدة في هذا السبيل — لما قامت دولة الغلاة من الشيعة في بلاد الفرس والعراق وشرق آسيا (كنا) الصغرى وأذر بيجان من عهد الملك المغولي خدابنده.

وابن المطهر لما وصل إليه كتاب ابن تيمية هذا، قال: كنت أجابوه لو كان يفهم كلامي، ولكن جوائى يكون بالفعل، حتى سعى سعياً إلى أن تمكن من قلب الدولة السنية من تلك الأفطار، إلى دولة غالية في التشيع بحمل خدابنده الملك الشعوب على المذهب بمذهب ابن المطهر، ولم يزل الغلو في التشيع في تلك البلاد منذ عمل ابن تيمية هذا، ولو كان يسعى بحكمة لما بعدت شقة الخلاف بين الإخوان المسلمين على الوجه الذي تراه. اهـ

أقول: كلامه هذا صريح في أن الإمام ابن تيمية هو الذي أثار نائرة الشيعة بتعصبه عليهم وطعنه فيهم وتنقيصه علياً بما يأتي مثله الخوارج، وأنه هو الذي حمل ابن المطهر على هذا الغلو في التشيع، والسعى في نشر المذهب من عهد الملك المغولي خدابنده الذي تشيع وقلب دولته شيعية بسعى ابن المطهر الحلبي هذا، وأن «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية» لشيخ الإسلام هو الذي زاد النار ضراماً. الخ. سبحان الله!! ما أجرأ هذا الرجل على تشويه الحقائق وإفساد التاريخ! فهو ممن زين له سوء عمله فراه حسناً وإليك الجواب عن هذا الكذب الصريح:

١ — إن شيخ الإسلام لم يؤلف كتابه ابتداءً، ولكنه ألف ردّاً على كتاب الحلبي الشيعي ... قد أحضر إليه كتاب الشيعي ولم يكن رآه، وطلب منه أهل السنة والجماعة ردّ مفترياته على أهل السنة، وهو شيخهم بل شيخ الإسلام، ومن أولى منه ببيان الحق وأقدر منه عليه؟

٢ — إن الملك المغولي خدابنده ترفض أو تشيع على يد ابن المطهر الحلبي قبل صدور ردّ شيخ الإسلام عليه ... [لأنه ترفض حوالي سنة ٧٠٩ هـ، وعلى قول الخوانساري سنة ٧٠٧ هـ =

وقد انتدب في الردّ عليه الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي

— وألف الحلّي «منهاج الكرامة» حوالى هذه المدّة، وعلى هذا يكون شيخ الإسلام قد ألف «منهاج السنة» بعد ذلك أى حوالى سنة ٧١٠ هـ [

٣ — إن أقصى ما يكون في كلام شيخ الإسلام هو الدعوة إلى الاعتدال في الأقوال والأعمال، وتخفيف غلو الغالين في العقائد، وتقليص ظل عصبية أهل البدع والأهواء، ودفع أكاذيبهم وأباطيلهم، والغرض من ذلك كلّه تنوير العقول، وتقريب القلوب... هذه نبذة صغيرة من كلام شيخ الإسلام مصدّقة لما ذكرناه:

قال — رحمه الله —: «و أما الراضى فإذا قدح في معاوية بأنه كان باغياً ظالماً. قال له الناصبي: وعلى أيضا كان باغياً ظالماً لما قاتل المسلمين على إمارته وبدأهم بالقتال ... إلى أن قال —: فالخوارج والمروانية وكثير من المعتزلة وغيرهم يقدحون في عليّ — رضى الله عنه — وكلّهم مخطفون في ذلك ضالّون مبتدعون». اهـ

فأنت ترى شيخ الإسلام يحكى كلام الروافض والنواصب والخوارج، ولكنه لا يحكم لفريق على فريق، بل يحكم بأنهم مخطفون مبتدعة ضالون، خلافاً لما يزعمه الكوثري، المقلّد الغبي، من انتقاص مقام الإمام على، فما أضيع البرهان عند المقلّد! [راجع هذا النوع من الأمثلة في كتاب «دعوة شيخ الإسلام وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة: ٣٤٣ — ٣٤٤]

٤ — وأوضح وأفضح مما تقدّم ... دعواه أن ابن تيمية هو سبب الغلو في التشيع، وبسط سلطانه في الأرض، ويوهم كلامه أوقفهم أن السلطان خدائنده ترفّض ونشر مذهب ابن المطهر بسبب ابن تيمية...

ونحن نقول لك بعد هذا الكلام ما ذكره الشيعة الإمامية أنفسهم في سبب ترفّض الملك خدائنده، ليعلم مبلغ هذا الرجل من تحريف التاريخ، وقلب الحقائق الواقعية بكل وقاحة أو صفاقة، ونسجل عليه حقه وتعصبه على رجال الإسلام العظام وافتراءه عليهم الكذب الصريح. [ثم نقل كلام الخوانسارى في «روضات الجنات» الذى تقدّم في مسألة الطلاق — إلى أن قال —:]

«ثم قال [أى الخوانسارى]:

هذه اليد العظمى والمنة الكبرى التى له [أى لابن المطهر] على أهل الحق [أى الراضية] مما لم ينكره أحد من المخالفين والموافقين، حتى في بعض تواريخ العامة (أى أهل السنة) رأيت التعبير عن هذه الحكاية بمثل هذه الصورة ومن سواها سنة سبع وسبعمائة،=

الدين أبو العباس ابن تيمية في مجلّدات أتى فيها بما يبهّر العقول من الأشياء

= وأظهر خدائنه شعار التشيع بإضلال ابن المطهر. اهـ

أَعْلِمْتُ الآن أيها القارئ الكريم السبب الذي من أجله ترفض هذا الجاهل الأعجمي المغولي وأنه مسألة شخصية، لا دخل فيها لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولا لكتاب منهاج السنة النبوية، وهو كونه طلق زوجته ثلاثاً وهو غضبان، واستفتى أمثال الكوثري من علماء عصره فأفتوه بالمحلل... وقال الملك لهم: عندكم في كل مسألة أقاويل مختلفة، أوليس لكم هنا اختلاف؟ قالوا: لا، لا بد من المحلل — أي الملعون بلسان الرسول ﷺ هو والمحلل له، فاستكف الملك عن هذا التحليل الذي هو زنا صريح. ولو أخذوا بما كان عليه الطلاق الثلاث في عهده ﷺ وعهد صاحبيه، لخرجوا من جحر الضب الذي أوقعوا الملك معهم فيه ولو اهتدى إلى شيخ الإسلام لوجد لمسألته عنده حلاً نبوياً سنياً غير شيعي، ولكن الكوثري يلبس شيخ الإسلام ذنب غيره، فعليه ما يستحق من ربه.

لماذا تسكت أيها الكوثري عنم أخرجوا الملك فأخرجوه من بينهم، وتظعن في دين من يرده وقومه إلى حظيرة السنة؟ أكان بالله إثمًا أن يؤلف ابن تيمية كتاب «مناج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية»، ويردّ به ضلالات ابن المطهر الحلبي. والكوثري السني فيما يزعم، يتبجح بقول الحلبي الشيعي لإمام السنة: كنت أجابوه لو كان يفهم كلامي! ... [ثم ذكر ماروي الخوانساري عن تذكرة الشيخ نورالدين علي بن عراق المصري أن ابن المطهر كتب إلى ابن تيمية بهذه الأبيات]:

لو كنت تعلم كل ما علم الوري طراً لصرت صديق كل العالم
لكن جهلت فقلت أن جميع من يهوى خلاف هواك ليس بعالم
فكتب الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصل في جوابه هذه القطعة وأرسلها إليه:

يا من يمّوه في السؤال مسفسطاً إن الذي ألزمت ليس بلازم
هذا رسول الله يعلم كل ما علموا وقد عاداه جل العالم
وترى الكوثري ينوّه بكلمة ابن المطهر الحمقاء التي أخذها من شعره [بل ذكرها الحافظ في «لسان الميزان»: ٢ / ٣١٧] ولكنه لم يذكر جوابها السديد لبعض علماء السنة، ويمكنك أن تقف مما أوردناه لك على دخيلته، وتعرف حقيقة نخلته وخبيثته =

المليحة الحسنة، وهو كتاب حافل». (٢٤)

نظراً إلى أهمية «منهاج السنة»، وتعميماً لفائدته قام العلامة الحافظ أبو عبدالله شمس الدين الذهبي (تلميذ شيخ الإسلام) بتلخيصه في كتاب «المنتقى من منهاج الاعتدال».

* * *

= وجملة القول: أن هذا الرجل لا يعتد بعقله ولا بنقله ولا بعلمه ولا بدينه. ومن يراجع تعليقاته يتحقق صدق ما قلناه فيه، على أننا أوردنا شواهد منها دلت على سائرها، وعرفتنا حقيقة قائلها. فمن بقى له شك فيها فليرجع إليها، ليرى كيف أن التعصب يُعمى ويُصم، والله عليم بذات الصدور». (الكوثري وتعليقاته للعلامة البيطار (١) ٨٧/ — ٩٢ مع «التكبير بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل»، المكتب الإسلامي ط. ثانية ١٤٦ هـ)

وراجع لمزيد من التفصيل عن الكوثري وحقده وحنقه على الأئمة الأعلام كتاب «المقابلة بين الهدى والضلال» للعلامة الشيخ عبدالرزاق حمزة، مع مقدمة الشيخ عبدالله ابن صالح المدني عليه؛ و«مقدمة العلامة المحدث الألباني على «شرح العقيدة الطحاوية» طبع المكتب الإسلامي؛ و «براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة» للعلامة الفاضل بكر بن عبدالله أبو زيد؛ و «زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً» و «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة» كلاهما لكاتب هذه السطور، طبع «مجمع البحوث العلمية الإسلامية» بنبو دهي.

(٢٤) البداية والنهاية (١٤/ ١٢٥).

لقد عرف فحول علماء السنة في عصورهم قيمة كتاب «منهاج
السنة» لشيخ الإسلام.

أقول: لولم يكن له كتاب إلا «منهاج السنة» لكفاه فخراً وعزاً وشرفاً
في الدنيا والآخرة، فكيف وأن المكتبات الإسلامية في العالم تزدان بكتبه
ورسائله وفتاواه في جميع العلوم الإسلامية.

قال قائل في «منهاج السنة»:

فلو كان تأليف الفتى مخلداً له لكان من «المنهاج» والله مُخلِّدٌ
ولو كان في الدنيا جزاءً لمحسنٍ لكان له فيها النعيم^(٢٥) المؤبد
وأنشده الشيخ المفتى عبدالقادر بن صديق (- ١١٣٨ هـ):

لله درّ شهاب الدين أحمد من دُعِيَ ابنَ تيمية ذى الفطنة اللسن
فقد أتى بالذى لا يستطاع له دفع بتحريه المنهج الحسن
وأضحت السنة الغراء تزهر من أنوار «منهاجه» في واضح السنن
فالله يوسعه برّاً ويشكر ما أبدى لنا معشر القرآن^(٢٦) والسنن

* * *

تقى الدين السبكي و «منهاج السنة النبوية»:

كان الشيخ تقى الدين^(٢٧) على بن عبدالكافي السبكي الشافعي

(٢٥) في الصفحة الأخيرة من «منهاج السنة النبوية» طبعة الأميرية ببلاط.

(٢٦) منهاج السنة (١ / ١٣٨ مقدمة التحقيق) طبعة جامعة الإمام.

(٢٧) راجع ترجمته في «طبقات الشافعية الكبرى» للتاج السبكي (٦ / ١٤٦) الطبعة الثانية،

دارالمعرفة بيروت.

(٦٨٣ - ٧٥٦ هـ) من خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية، وردّ السبكي عليه في رسائل مستقلة (٢٨) في مسائل، فصلّها شيخ الإسلام في كتبه ورسائله وفتاواه في ضوء الأدلة من الكتاب والسنة.

ولما اطلع التقى السبكي على كتاب «منهاج السنة النبوية» (ذلك السفر القيم الحافل بالفائس والدرر) وجدّه وافياً بالمقصود وقال:

ولابن تيمية ردّ عليه وفي بمقصد الردّ واستيفاء أثره إلا إنه ناقره بأبيات فيها مغالطات وتهويلات من جهة، واتهامات وتحاملات على شيخ الإسلام من جهة أخرى. وإليكم قصيدة السبكي بكاملها (٢٩):

- (١) إن الروافض قوم لاخلاق لهم من أجهل الناس في علم وأكذبه
- (٢) والناس في غنية عن ردّ إفكهم لهجنة الرفض واستقباح مذهبه
- (٣) وابن المطهر لم تطهر خلأثقه داغ إلى الرفض غالٍ في تعصبه
- (٤) لقد تقوّل في الصحب الكرام ولم يستحي ممّا افتراه غير منجبه

(٢٨) منها: «الدرة المضيئة في الردّ على ابن تيمية»، و «نقد الاجتماع والافتراق في مسائل الأيمان والطلاق»، و «النظر المحقق في الحلف بالطلاق المعلق» و «الاعتبار ببقاء الجنة والنار»، و «شفاء السقام في زيارة خير الأنام»

راجع الرد على محتويات هذه الرسائل في كتاب «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة» (الباب الرابع) طبع «مجمع البحوث العلمية الإسلامية» نيو دلهي.

(٢٩) ذكرها التاج السبكي في ترجمة أبيه التقى السبكي في «طبقات الشافعية» (٦/ ١٦٠) إلا البيت الأخير منها، ولم يذكره إلا أبو عبدالله محمد بن يوسف الشافعي ضمن قصيدته ردّاً على السبكي.

- ٥) ولابن تيمية ردّ عليه وفي
٦) لكنه خلط الحق المبين بما
٧) يحاول الحشو أتى كان فهو له
٨) يرى حوادث لامبدا لأولها
٩) لو كان حياً يرى قولى ويسمعه
١٠) كما رددت عليه في الطلاق وفي
١١) وبعده لأرى للردّ فائدة
١٢) والردّ يحسن في حالين: واحدة
١٣) وحالة لانتفاع الناس حيث به
١٤) وليس للناس في علم الكلام هدى
١٥) ولى يدّ فيه لولا ضعف سامعه
١٦) هذا الذى قاله السبكي مرتجلاً
- بمقصد الردّ واستيفاء أضربه
يشوبه كدر في صفو مشربه
حيث سير بشرق أو بمغربه
في الله سبحانه عمّا يُظنّ به
رددت ما قال ردّاً غير مشتبه
ترك الزيارة أقفو إثر سبسه
هذا وجوهه مما أضنّ به
لقطع خصم قوى في تغلبه
هدى وريح لديهم في تكسبه
بل بدعة وضلال في تطلبه
جعلت نظم بسيطى في مهذبه
وللبسيط انتمى في بعض أضربه

* * *

تتلخّص مؤاخذات السبكي في هذه القصيدة على شيخ الإسلام
وكتابه «منهاج السنّة النبوية» في أمرين:

أولهما: أنه يحاول في كتابه هذا الحشو والتجسيم.

والثاني: يرى فيه إمكان وجود حوادث لا أول لها.

تناول شيخ الإسلام هاتين القضيتين (٣٠) في عديد من كتبه ورسائله

(٣٠) راجع التفصيل عنهما في «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية» (الباب الرابع).

وسياق الردّ المسهب على السبكي في القصيدتين إن شاء الله تعالى.

وفتاواه بالبحث والتحقيق، وجلاهما في ضوء الكتاب والسنة، بحيث لا يبعث فيهما مجال للتمويه والمغالطة، ولا يخفى ذلك على من دأبه في المسائل المختلف فيها التحقيق والتبيين.

أما القاصرون من أهل الأهواء فيؤاخذون على شيخ الإسلام بما ردّ به خصومه عليه عناداً، من غير أن يتأكدوا مما نسب إليه، ويتبينوا من الأمر الواقع، ليروا ما عنده من نفائس الأدلة والبراهين. ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة﴾ [الأنفال: ٤٢]

* * *

سبب تأليف هاتين القصيدتين:

أنشد التقى السبكي قصيدته المذكورة في الردّ على شيخ الإسلام بعد وفاته، كما يدلّ عليه قوله:

لو كان حياً يرى قولي ويسمعه رددت ما قال ردّاً غير مشتبه
من هنا نهض تلميذان بارّان من مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية
لمعارضة قصيدة السبكي — بحراً وقافيةً — بقصيدتيهما اللتين هما من روائع
الشعر الإسلامي، ونفائس الانتصار لمذهب السلف الصالح في العقيدة
والعمل، ونماذج الدفاع عن الحق من غير ما ملل وكلل، وبكلّ همّة وإرادة —
ألاهما:

* أبو المظفر يوسف بن محمد العبادي السرمري، في قصيدته:
«الحمىة الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية» (وهي تتضمن مائة واثنين
وخمسين بيتاً مع أبيات السبكي)

* وأبو عبدالله محمد بن يوسف الشافعي اليمنى في قصيدته التي ردّ فيها على السبكي ودافع عن شيخ الإسلام. (وهي تحتوى على مائة وعشرة أبيات مع أبيات السبكي)

* * *

كان شعر أهل الإيمان والصدق والنزاهة من قديم الزمان أمضى سلاحاً للدفاع عن الحق، والرد على الباطل.

ولشعراء الإسلام قدوة في حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن زهير، ولييد بن ربيعة وغيرهم من شعراء عصر صدر الإسلام — رضى الله عنهم أجمعين — حيث دافعوا عن الإسلام والمسلمين وعلى رأسهم نبينا صلى الله عليه وسلم.

نجد كثيراً من هذه المواقف المشرفة، والكلمات الصادقة، والقصائد النابعة بدافع من الإيمان والعقيدة صدرت عبر التاريخ الإسلامى، وتلققتها الطبقة الذكية من هذه الأمة بالإعجاب والقبول، والنشر والتوزيع. ومنها: هاتان القصيدتان لأبى المظفر السمررى، وأبى عبدالله الشافعي اللتان تتميزان بجمال السبك وحسن الصياغة، وسرعة البديهة، وبلاغة الإشارة، وسلامة المعتقد، واستقامة المنهج ما يعطى أهل الحق قوة دافعة تتسامى على العقبات والظروف؛ للسير في درب الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، والأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر، وإحقاق الحق وإبطال الباطل بالقلم واللسان والسيف
والسنان لإعلاء كلمة الله في أنحاء المعمورة.

والحق أبلج لايزيغ سبيله والحق يعرفه ذوو الألباب

* * *

اللهم أرنا الحق حقاً ورزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه،
واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فإنك وليّ التوفيق.

«سبحانك اللهم بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب

إليك».

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

صلاح الدين مقبول أحمد
غفر الله له ولوالديه وإخوانه ومشايخه

نيو دلهي:

يوم الأحد

٢٣ / ٥ / ١٤١٢ هـ

٣١ / ١١ / ١٩٩١ م.

الحمية الإسلامية في الانتصام إلى كتاب تيمية

لأبي المظفر يوسف بن محمد العبادي السرمزي
(٦٩٦-٧٢٦ هـ)

تقديم وتعليق

صلاح الدين مقبول احمد



مجمع البحوث العلمية الإسلامية

تحت إشراف

مركز "أبوالكلام آزاد" للتوعية الإسلامية

٨/١ جوغاباني، نيودلهي-١١٠٠٢٥ (الهند)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نبذة

عن الناظم السرمري

(٦٩٦ — ٧٧٦ هـ)

وقصيدته: «الحمية الإسلامية»

* اسمه ومولده:

صاحب «الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية» هو:
يوسف بن محمد بن مسعود العبادي — بالتخفيف — نزيل دمشق، الحنبلي
الإمام العلامة الحافظ جمال الدين أبو المظفر السرمري. (١)
ولد بـ «سرمرا» في سابع عشر من شهر رجب سنة ست وتسعين
وستائه من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام.

* رحلته في طلب العلم:

كان — رحمه الله — رجلاً حافظاً، ولد بسرمراً وتفقه ببغداد، ورحل
إلى دمشق فتوفى فيها.

(١) راجع ترجمته في المصادر التالية:

* معجم ابن رافع السلامي.

* الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي.

* الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني. ط. ثانية ١٣٩٦ هـ.

* لحظ الأخطأ لابن فهد المكي (ص ١٦١) ضمن «ذبول تذكرة الحفاظ». =

* شيوخه:

سنت للناظم فرصة الأخذ عن كبار العلماء في عصره في العراق ودمشق، ومنهم:

* عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي الحنبلي أبو الفضائل صفى الدين (٦٥٨ - ٧٣٩ هـ). (٢)

* محمود بن علي بن محمود تقي الدين أبو الثناء الدقوق البغدادي الحنبلي (٦٦٣ - ٧٣٣ هـ). (٣)

* أحمد بن أنى طالب الصالحى الحجار (٦٢٤ تقريباً - ٧٣٠ هـ). (٤)

* سراج الدين الحسين بن يوسف التبريزي: تفقه الناظم عليه. (٥)

* براعته فى العلوم:

لقد برع الناظم فى علوم مختلفة وفنون شتى ومنها: العقيدة والسلوك،

= * بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى. ط. ثانية ١٣٩٩ هـ.

* شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي.

* كشف الظنون لحاجى خليفة.

* هدية العارفين للبغدادي. دارالفكر ١٤٠٢ هـ.

* إيضاح المكنون له أيضاً. دارالفكر ١٤٠٢ هـ.

* الأعلام للزركلى. ط. ثامنة ١٩٨٩ م.

* معجم المؤلفين لعمر رضا كحاله.

* فهرس الفهارس للكتانى، تحقيق إحسان عباس.

(٢) الدرر الكامنة: (٣/ ٢٢٣ - ٢٤٥)، ولحظ الألاحظ (ص ٢١).

(٣) الدرر الكامنة: (٦/ ٨٨/ ٨٩).

(٤) المصدر المذكور: (١/ ١٤٢).

(٥) المصدر المذكور: (٤/ ٤٧٤).

والحديث وعلومه، والفقه والفرائض، والسير والتراجم، والخصائص والفضائل،
والعجائب والغرائب، والحكم والمواعظ، والتخريج والمشيخة، والنظم والشعر،
والنحو والعربية وما إلى ذلك.

نقل الحافظ ابن حجر عن ابن رافع السلامي أنه: «... وكان يذكر أن
تصنيفه بلغت مائة، وزادت في بضعة وعشرين علماً...» (٦)

* مؤلفاته:

تفنّن المؤلف — رحمه الله تعالى — في التصنيف والتأليف نظماً ونثراً
لتبحره في مختلف العلوم والفنون، ونظرة واحدة في فهرس مؤلفاته تنبئ عن
اطلاعه الواسع على أصول الدين وفروع الشريعة.

وفيما يلي فهرس مؤلفاته (٧):

— إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة.

— كتاب الأربعين الصحيحة فيما دون أجر المنيحة.

— الفوائد السرورية من المشيخة البدرية.

— غيث السحابة في فضل الصحابة.

— عمدة الدين في فضل الخلفاء الراشدين.

— عقود الآلى في الأمالى.

— نشر قلب الميت بفضل أهل البيت.

(٦) الدرر الكامنة: (٦/ ٢٤٧)، وبغية الوعاة (٢/ ٣٦٠).

(٧) راجع أسماء مؤلفاته في مصادر ترجمته المشار إليها آنفاً.

- شفاء الآلام في طب أهل الإسلام.
 - نهج الرشاد في نظم الاعتقاد.
 - شرح اللؤلؤة في علم العربية.
 - الأرجوزة الجليلة في الفرائد الحنبلية.
 - الخصائص والمفاخر لمعرفة الأوائل والأواخر.
 - نظم مختصر ابن رزین في الفقه.
 - نظم الغريب في علوم الحديث (والأصل لأبيه).
 - عجائب الاتفاق وغرائب ما وقع في الآفاق.
 - صحاح الأحكام وسلاح الحكام.
 - الإفادات المنظومة في العبادات المختومة.
 - تخریج الأحادیث الثمانیات (أو) ثمانیات یوسف بن محمد العبادی.
 - رسالة الجراد وما في شأنه من الصلاح والفساد.
 - تخریج مشیخة محیی الدین أی نصر محمد بن شرف الدین العباسی.
 - الحمیة الإسلامیة فی الانتصار لمذهب ابن تیمیة (وهی هذه القصیدة)^(٨)
- تلامذته:**

ذكر المترجمون للناظم — رحمه الله تعالى — بعض تلامذته، ويخصّون

بالذكر منهم تلميذين:

* ابنه: إبراهيم بن يوسف بن محمد العبادي العقيلي.^(٩)

(٨) سيأتى التفصيل عن هذه القصيدة إن شاء الله تعالى.

(٩) لحظ الألفاظ (ص ١٦٠).

* محمد بن رافع السلامي تقي الدين أبو المعالي، ابن رافع المحدث المشهور
المصري نزيل دمشق (٧٠٤ — ٧٧٤ هـ) (١٠)

* ثناء العلماء عليه:

* قال ابن رافع في معجمه:

«... إن تصانيفه بلغت مائة وزادت في بضعة وعشرين علماً» (١١)

* وقال ابن حجر:

«... وبرع في العربية والفرائض، ونظم عدة أراجيز في عدة فنون، وخرّج

لغير واحد...» (١٢)

* ذكره تقي الدين ابن فهد المكي واصفاً بالإمام العلامة الحافظ، وقال:

«وكان عمدة ثقة ذا فنون إماماً علامة، له مصنفات عدة في أنواع كثيرة

نثراً ونظماً، خرّج وأفاد وأملى رواية وعلماً...» (١٣)

* وفاته:

قضى الناظم — رحمه الله تعالى — حياته حافلاً بالتصنيف والتأليف

والإفادة والإملاء في علوم شتى نظماً ونثراً، ومدافعاً عن العقيدة الصحيحة،

(١٠) الدرر الكامنة: (٥/ ١٨٠ — ١٨١).

(١١) المصدر المذكور (٦/ ٢٤٧)، وبغية الوعاة للسيوطي (٢/ ٣٦٠).

(١٢) الدرر الكامنة: (٦/ ٢٤٧).

(١٣) لحظ الألاحظ (١٦٠ — ١٦١).

ومنافحاً عن منهج السلف الصالح إلى أن جاء أجله المحتوم، فتوفى — رحمه
الله — في يوم السبت الحادى والعشرين (١٤) من جمادى الأولى سنة ست
وسبعين وسبعمائة عن عمر يناهز ثمانين سنة ... إنا لله وإنا إليه راجعون.
اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه!

* * *

(١٤) في بعض المراجع «الحادى عشر من جمادى الأولى» كما في «بغية الوعاة» للسيوطى.

قصيدة

«الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية»

أنشد الناظم: أبو المظفر يوسف بن محمد السرمرى هذه القصيدة (١) الرائعة رداً على التقى السبكي في قصيدته البائية المشهورة دفاعاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية.

احتوت قصيدة السبكي على ستة عشر بيتاً، وجاء رد السرمرى عليها في مائة واثنين وخمسين بيتاً بحيث أورد أبيات السبكي ضمن قصيدته وردّ على كل بيت منها على حدة.

ذكر أولاً خمسة عشر بيتاً تمهيداً لقصيدته، ثم ذكر أول بيت من قصيدة السبكي، وبدأ برده المفصل ومن أبياته:

يا أيها المعتدى قولاً ومعتقداً على ابن تيمية ظلماً ومذهبه
بين لنا بصریح القول معتمد ال إنصاف والعدل فيه ما تريد به

(١) نشرت هذه القصيدة في تقاريف «منهاج السنة» (٢ - ٧ = طبعة الأميرية) وفي مقدمة التحقيق على «منهاج السنة» (١ / ١١٧ - ١٢٥) بقلم الدكتور محمد رشاد سالم، وعلق على هذه القصيدة في ثمانية مواضع على النحو التالي:

- موضع فيه إشارة إلى ترجمة المؤلف.
- وموضع فيه شرح كلمة «المقنب»
- وستة مواضع فيها تتمثل في قوله: «كذا بالأصل».

وإني أشرت إلى الدكتور محمد رشاد سالم في هذه المواضع بحرف (م) اعترافاً بفضله، والفضل للمتقدم.

وقال:

لكن إذا الأسد الضرغام غاب عن الـ
كذا الجبان خلا في البرّ صاح ألا
سعرين تسمع فيه ضبح ثعلبه
مبارز وتغالى في توثبه
إلى أن قال:

فالفتك قيده التقوى ومذهبنا ترك الجدال وتأنب لطالبه
فهذه نبذة أوردتها عجلًا عن ابن تيمية نصرًا لمذهبه

* * *

تقدم أن الناظم السرمري - رحمه الله تعالى - كان عمدة ثقة إماماً
علامة ذافنون. وبرزت شخصيته العلمية في كتبه في حقول مختلفة ومنها:
- اعتناؤه بعقيدة السلف الصالح والرد على أهل الكلام المذموم. (٢)
- واشتغاله بالفقه، وقد تفقه على الشيخ سراج الدين الحسين
بن يوسف التبريزي كما ذكره الحافظ ابن حجر، (٣)
- ومهارته في الحديث وعلومه.

لقد جمع الناظم في هذه القصيدة كل هذه المزايا فجاءت في الصميم،
وأصابت الهدف، بحيث تملل بها المتهاكون من أهل البدع والأهواء لوقعها

(٢) راجع «نهج الرشاد في نظم الاعتقاد» للناظم (وهو يحتوي على (١٥١) بيتاً في تقرير
مذهب السلف الصالح، والرد على الكلام المذموم.

(تنبه): وذكر البغدادي في هدية العارفين (٢/ ٥٥٨) كتاباً منظوماً للناظم بهذا الاسم
وقال: فيه ثلاثمائة بيت: فلعله كتاب أوسع مما رأيت عند الأخ الفاضل بدر الزمان محمد
شفيع النيبالي نسخة منه بخط يده بهذا الاسم وفيه (١٥١) بيتاً كما تقدم.

(٣) الدرر الكامنة: (٤/ ٤٧٤).

الشديد على قلوبهم، فرماه أحدهم (٤) بعميه في البصيرة وافتنانه بابن تيمية. ثم جاء من (٥) أخذ على نفسه عهداً من الله أن يقعد صراطه المستقيم وقال تعليقا على ترجمة الناظم:

«... قال ابن ناصر الدين:

ومن مؤلفاته نظماً كتاب (الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية) اهـ. (يعارض فيها القصيدة البائية المشهورة لابن السبكي) وقد وفاه الكيل بعض أصحاب الشافعية من أهل العصر.

وكان صاحب الترجمة بعيداً عن علم الكلام وأصول الدين، منصرفاً إلى مجالس الرواة، يسير وراء ابن تيمية في شواذه حنوالنعل بالنعل كغالب مقلدة الرواة من أهل زمنه، ومنهم من يعذر، ومن لا يعذر. ولاترى في تراجم أمثاله أنهم تخرجوا في أصول الدين بفلان، وتفقهوا عند فلان — إلى أن قال —:

ولاتتسع قرائح أمثالهم للبراهين الصحيحة، ويبقون في منازل العامة فهماً. (٦).

هذا تعليق هذا الشأن على كتاب «لحظ الألاحظ» لابن فهد المكي،

(٤) وهو كمال أبو المنى (الشخص المشبه) في مقدمة الرسائل السبكية (ص ٦٧) والتوفيق الرباني (ص ٧٧).

(٥) وهو «الكوثري» — علم الله، حاولت مراراً أن لا أتعرض لهذا المخلوق ولكن كلما أمر بموقف مشرف من مواقف سلفنا الصالح أجده هناك يهون ويلبس. فعليه من الله ما يستحق.

(٦) لحظ الألاحظ (ص ١٦١ تعليقاً).

وقد تغاضى فيه بغضاً ولؤماً عما وصف المؤلف المكي المذكور نفسه به
الناظم (صاحب الترجمة) من قوله: «الإمام العلامة الحافظ» وقال:
«وكان عمدة ثقة ذافنون إماماً علامة له مصنّفات في أنواع كثيرة» (٧)
تغاضى عن هذا كله، بل نفى عنه أموراً هو فيها إمام، وجعل حسناته
ذنوباً لا تغتفر:

إذا محاسنى اللاتى أدلّ بها تُعدُّ ذنوباً فقل لى كيف أعتذر

* * *

كان الناظم — رحمه الله — محدثاً حافظاً فقيهاً فرضياً نحوياً ناظماً،
مشاركاً في غير ذلك من العلوم، من زمرة أهل السنة والجماعة، بعيداً عن
الكلام المذموم الذى يؤدى أهله إلى إنكار صفات البازى تعالى أوتأويلها
حسبها تهوى عقولهم المريضة، وخيالاتهم الفاسدة.

وأوتى — رحمه الله — حظاً وافراً من الدقة والفهم، واتباع الأدلة من
الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح ما جعل بعض جهمية عصرنا —
الذين يعتون أنفسهم من الأعلام وهم أجهل بكثير من العوام، يتململون
ويتولولون، ويقعون فيه لأجل تمسّكه بالحق، ومناقضته في كتبه وأراجيزه من
يخالف المنهج المستقيم في تحرير العقائد وتقرير الأحكام.

ولاريب أن العبرة بالحق وأهله الذين ينهلون من منهل الكتاب والسنة،

(٧) المصدر المذكور (١٦٠ — ١٦١).

لا بالبدعة وأهلها الذين لا تتسع قرائحهم للبراهين الصحيحة، والدلائل
المستقيمة.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الحمد لله أولاً وآخراً وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً.

• • •

نص

قصيدة «الحمية الإسلامية» للسرمري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(المقدمة)

- (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا أُسْتَعِينُ بِهِ
فِي كُلِّ أَمْرٍ أَعَانَنِي فِي تَطَلُّبِهِ
- (٢) لَا سِيَّمَا فِي انْتِصَافٍ مِنْ أَخِي إِحْنٍ
طَغَى عَلَيْنَا وَأَبْدَى مِنْ تَعْصِبِهِ
- (٣) بَغْيًا وَعَدْوًا وَإِفْكًَا مُفْتَرَى وَهَوَى
فَقُلْتُ رَدًّا عَلَيْهِ فِي تَوْبِهِ
- (٤) يَا أَيُّهَا الْمُعْتَدِي قَوْلًا وَمُعْتَقَدًا
عَلَى ابْنِ تَيْمِيَّةٍ ظُلْمًا وَمَذْهَبِهِ
- (٥) يَبِينُ لَنَا بِصَرِيحِ الْقَوْلِ مُعْتَمَدَ الْ
إِنْصَافِ وَالْعَدْلِ فِيهِ مَا تَرِيدُ بِهِ
- (٦) الْعِضُّ مِنْهُ فَهَذَا لَا يَجُوزُ، أَمْ اللَّذَّ
حَقِيقٌ لِلْحَقِّ، فَاسْلُكْ نَهْجَ سَبَبِهِ

- ١ - أعانى: أقاسى.
- ٢ - إحن: كعنب، جمع الإحنة بالكسر: الحقد، أو الغضب.
- ٣ - توبه: ظفروه، واستيلائه ظلما.
- ٤ - المعتدى: هو التقى السبكي، الذى ردّ في قصيدته على شيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٦ - العَضُّ منه: الوضع من قله، أى قله شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - السبب: المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة. والمعنى أنك إذا أردت تحقيق الحق، عليك أن تسلك منهج شيخ الإسلام.
- قال الدكتور محمد خليل هراس: وجميع دعاة الإسلام من بعده إنما يهديه =

- (٧) شَهِدْتُ بِالْفَضْلِ فِيهِ، ثُمَّ جِئْتُ بِمَا
يُنْفِيهِ، فَعَلَّ غَوِيٌّ فِي تَلْعُبِهِ
- (٨) أُجْمَلَتْ قَوْلِكَ فِيهِ بِالْوَقِيعَةِ مِنْ
غَيْرِ الْبَيَانِ لَهُ لَكِنْ بِأَصْحَابِهِ
- (٩) مَوَّهَتْ فِيهِ عَلَى الْجُهَالِ لَا وَرَعٌ
ثَنَّاكَ عَنْهُ وَلَا تَوْقِيرُ مَنْصِبِهِ
- (١٠) طَعَنْتَ فِيهِ فَجَاءَتْ فِي الْحِجَابِ كَذَا
مَنْ يَخْصِمُ الْحَقَّ لَمْ يَظْفَرْ بِمَطْلَبِهِ
- (١١) وَجِئْتُ فِيهِ بِقَوْلٍ غَيْرِ مُتَّسِقٍ
لَفْظًا وَمَعْنَى بَعِيدٍ مِنْ مُصَوَّبِهِ
- (١٢) نَظَّمْتَ شِعْرًا زَعَمْتَ الْفَضْلَ فِيهِ فَقَدْ
أَسْجَلْتَ بِالنَّقْضِ فَأَكْرَعُ مَرَّ مَشْرَبِهِ
- (١٣) رَكِيكَ لَفْظٍ قَوَافِيهِ مُعَايِرَةٌ
.... إِيْطَاءً بِأَضْرِبِهِ

= اقتلوا، وعلى كتبه تخرجوا. (ابن تيمية السلفي: ص ١٩٨، اليوسفية ١٩٥٢م)
وقال الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق: «لاغنى اليوم لمسلم يريد أن يعرف الإسلام
الحقيقي عن مطالعة كتبه، والتزود من علمه» (على ظهر غلاف «لحاح من حياة شيخ
الإسلام)

- ١٠ — (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج) [ق: ٥]
- ١٢ — أسجلت بالنقض: أى قَدِّمَتْ كلاماً متناقضاً.
فاكرع: فاشرب.
- ١٣ — قوافيه: جمع قافية: آخر كلمة في البيت أو الحرف الذى تبنى عليه القصيدة.=

(١٤) عَرَّضْتَ عِرْضَكَ فِي عَرَضِ الْعُرُوضِ بِمَا
يُزِرِّي وَغَرَّكَ فِيهِ شَيْمٌ حُلْبِيهِ

(تقصير السبكي في الرد على الروافض)

(١٥) فَمَا أَجَدْتَ بِهِجْوِ الرَّافِضِيِّ وَلَا
قَصَّرْتَ فِي الطَّعْنِ فِي السُّنَنِ وَمَذْهَبِهِ

(١٦) قُلْتَ الرَّوَافِضُ قَوْمٌ لَا خَلَاقَ لَهُمْ*
مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ فِي قَوْلٍ وَأَكْذِبِهِ

(١٧) قَصَّرْتَ مِنْ هَجْوِهِمْ فِي قَصْرِ جَهْلِهِمْ
وَالْكَذِبُ فِي الْعِلْمِ حَبٌّ أَرْجَعُ بِأَعْيَبِهِ

= وفي بداية الشطر الثاني من هذا البيت يياض بالأصل المطبوع مع «منهاج السنة

النبوية» لشيخ الإسلام، طبعة الأميرية: وكذا في طبعة الدكتور محمد رشاد سالم أيضا.

١٤ - شيم: شام البرق نظر إليه أين يقصد وأين يمطر.

حلب: السحاب لا مطر فيه.

والمعنى: أنك غررك النظر إلى برق السحاب الذي لامطر فيه.

١٥ - الرافضي: هو جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي ابن المطهر الحلي

(٦٤٨ - ٧٢٦ هـ) المشهور عند الشيعة بالعلامة، صاحب كتاب «منهاج الكرامة

في إثبات الإمامة». الذي ردّ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في

سفره القيم العظيم «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية»، (راجع شرح

البيت رقم (١٣) من قصيدة الشيخ أنى عبدالله محمد بن جمال الدين الشافعي اليمنى)

١٦ - قلت الروافض: أشار به الناظم أبو المظفر العبادي السمرى إلى قول التقى السبكي:

«إن الروافض قوم لاخلاق لهم».

١٧ - حبّ ارجع باعيه: قال مصحح الطبعة الأميرية: «كذا وقع بالأصل» وانظر ما تركيبه =

- (١٨) هُمْ أَكْذِبُ النَّاسِ فِي قَوْلِهِ وَفِي عَمَلِهِ
وَأَعْظَمُ الْخَلْقِ جَهْلًا فِي تَوْبِهِ
- (١٩) وَهُمْ أَقَلُّ التَّوَرَى عَقْلًا وَأَغْفَلُهُمْ
عَنْ كُلِّ خَيْرٍ وَأَبْطَأَ عَنْ تَكْسِبِهِ
- (٢٠) وَكُلُّ عَيْبٍ يُرَدُّ الشَّرْعُ قَدْ جَمَعُوا
هُمْ جُنْدُ إِبْلِيسَ بَلْ فُرْسَانُ مِقْنَبِهِ

وما معناه.

واكتفى الدكتور محمد رشاد سالم — رحمه الله — بقوله «كنا بالأصل».

حَبَّ: خلداع بلوم ويخل. والمعنى:

عندى والله أعلم —. أن الكذب في العلم أشد أنواع الخلداع وأعيبها.

١٨ — راجع شرح البيت رقم (٢٠) الآتي.

١٩ — أبطأ: ضد «أسرع».

٢٠ — المقنب من الخيل: ما بين الثلاثين إلى الأربعين، أو زهاء ثلاث مئة.

(فائدة): قال ابن المبارك:

وجدت الدين لأهل الحديث، والكلام للمعتزلة، والكذب للرافضة، والحيل لأهل

الرأى، وسوء الرأى والتدبير لآل أبي فلان، مختصر الصواعق المرسله: (٢/ ٣٥٩)

والمنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي (٤٨٠ — طبعة السلفية).

وذكر شيخ الإسلام بعض النقول عن الشعبي وغيره، فقال:

«وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين:

سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى.

وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حوارى عيسى.

وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد أمروا بالاستغفار لهم

فسبواهم والسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم، ولا

يجمع لهم ولا تجاب لهم دعوة. دعوتهم مدحوضة وكلمتهم مختلفة، وجمعهم متفرق،

كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله» (منهاج السنة ١/ ٦ — ٧)

(٢١) وَقُلْتَ أَيْضاً وَشَرُّ الْقَوْلِ أَبَعْدَهُ

عَنِ الصَّوَابِ فُرْمٌ تَحْصِيلَ أَصَوْبِهِ
(٢٢) وَالنَّاسُ فِي غَنِيَةٍ عَنِ رَدِّ إِفْكِهِمْ*

لِهَجْنَةِ الرِّفْضِ وَاسْتِقْبَاحِ مَذْهَبِهِ
(٢٣) أَكُلُّ مَا ظَهَرَتْ فِي النَّاسِ هُجْنَتُهُ

يَضِيرُ أَهْلًا لِإِهْمَالِ النَّكِيرِ بِهِ

= وقال الشعبي: «لو كانت الشيعة من البهائم، لكانوا حمراً، ولو كانت من الطير لكانوا رخماً» (منهاج السنة: ١ / ٧) (الرخم طائر يطلى بمزاته لسم الحية وغيرها....)
وقال الأعمش:

«تروح إلينا جنى فقلت له: ما أحب الطعام إليكم؟
فقال: الأرز. قال: فأتيناهم به، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدا.
فقلت: فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟
قال: نعم :
فقلت: فما الراضية فيكم؟
قال: شرنا.»

(قال ابن كثير: عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزني، فقال هذا إسناد صحيح إلى الأعمش» راجع تفسير ابن كثير ٤ / ٤٣١ - سورة الجن، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ)
وقال الإمام ابن القيم في الروافض بأنهم أخبث الحيوان:
وكذا ك اعداؤ الرسول وصحبه وهم الروافض أخبث الحيوان
(النونية لابن القيم مع شرحها للدكتور محمد خليل هراس: ١ / ٤٠٤ مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ١٤٠٧ هـ)

— ٢١ — رم: واقصد.

— ٢٢ — هذا البيت من قصيدة السبكي.

الهجنة: القبح.

- (٢٤) وَاللَّهُ لَا غُنْيَةَ عَنِ رِزْقِهِمْ
 بَلْ رِزْقُهُ وَاجِبٌ أَكْبَرُ بِمُوجِبِهِ
 (٢٥) أَيْتَرُكُونَ الصَّحَابَةَ وَالْ
 إِسْلَامَ يَخْتَالُ زَهْوًا فِي تَصَلِّيهِ
 (٢٦) هَذَا مَقَالٌ شَنِيعٌ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ
 بِهِ وَلَا رَهْطٌ جَهْمٌ فِي تَحْزِينِهِ

٢٤ — أعظم بموجبه: ما أعظم هذا الموجب.

٢٥ — يختال زهوا في تصلبه: أى حسنا وجمالاً مع كمال قوته وشوخته.

٢٦ — رهط: من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة أو ما دون العشرة ...

جهم: هو ابن صفوان.

* قال الذهبي:

«جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان التابعين وما علمته روى شيئا ولكنه زرع شرا عظيما.» (ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ١ / ٤٢٦) = تحقيق على البجاوي، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ)

* وقال على بن محمد الجرجاني:

«الجهمية: هم أصحاب جهم بن صفوان. قالوا: لاقدرة للبعد أصلا لامؤثرة ولاكاسية. بل هو بمنزلة الجمادات، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلها حتى لايبقى موجود سوى الله تعالى. (التعريفات للجرجاني ص ٨٠ = دارالكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ)

* «ولما كان مذهب الجهم في التعطيل والجبر أصلا تفرع عنه كثير من فرق الضلال كالمعتزلة والفلاسفة ومتأخرى الأشعرية والقرامطة الباطنية وملاحدة الصوفية القائلين بالحلول والوحدة، كابن عرى وابن سبعين وأضرابهما قال الإمام ابن القيم:

جهم بن صفوان وشيعته الألى جعلوا صفات الخالق الديان
 بل عطلوا منه السماوات العلى والعرش أخلوه من الرحمن
 ونفوا كلام الرب جل جلاله وقضوا له بالخلق والحدثان
 (النونية: ٢٦ — ٢٧)

(٢٧) وَاللَّهِ لَوْلَا سَيْوْفٌ مِنْ أَيْمَانِنَا

فِي كَاهِلِ الرَّفْضِ لَا تُلَوِي وَمَنْكِبِهِ

(٢٨) لِأَضْحَتِ السَّنَةُ الْغُرَاءُ دَائِرَةً

بَيْنَ الْبَرِيَّةِ كَالْعَنْقَا وَأَغْرِبِهِ

(٢٩) وَقَلَّتْ لِلرُّجْسِ لَمْ تَطْهُرْ خَلَاتِقَهُ*

دَاعٍ إِلَى الرَّفْضِ غَالٍ فِي تَعْصِبِهِ

(٣٠) لَقَدْ تَقَوَّلَ فِي الصَّحْبِ الْكِرَامِ وَلَمْ*

يَسْتَحْيَ مِمَّا افْتَرَاهُ غَيْرُ مُنْجِبِهِ

٢٧ - لا تلوي: لا ترد.

٢٨ - العنقاء وأغربه [العنقاء المُغْرِبُ بالضم، وعنقاء مُغْرِبٌ، ومُغْرِبَةٌ، ومُغْرِبٌ، مضافة] طائر معروف الاسم لا الجسم، أو طائر عظيم يبعد في طيرانه.

٢٩ - أشار إلى بيت السبكي: «وابن المطهر لم تطهر خلأته» الخ. «الرجس»: أراد به ابن المطهر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وهذا المصنف [أى ابن المطهر الرافضى] سَمَى كتابه «منهاج الكرامة في معرفة الإمامة» وهو خليق بأن يسمي «منهاج الندامة»، كما أن من ادعى الطهارة، وهو من الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، بل من أهل الجبت والطاغوت والنفاق، كان وصفه بالنجاسة والتكدير أولى من وصفه بالتطهير.

ومن أعظم حيث القلوب أن يكون في قلب العبد غلٌ لخيار المؤمنين، وسادات أولياء الله بعد النبيين. ولهذا لم يجعل الله تعالى في الفىء نصيباً لمن بعدهم إلا الذين يقولون:

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] (منهاج السنة: ١/ ٢١ - ٢٢ تحقيق

الدكتور محمد رشاد سالم)

٣٠ - من أبيات السبكي.

- (٣١) أَيْسَكُّتُ النَّاسُ عَنْ هَذَا وَدَعْوَتِهِ
إِلَى الضَّلَالَةِ وَاسْتِعْلَاءِ مَنْصِبِهِ
- (٣٢) وَمَا تَقَوْلٌ فِي الصَّحْبِ الْكِرَامِ وَمَا أَفْ
تَرَاهُ فِيهِمْ وَلَمْ يُرْجَمْ بِكُوكِبِهِ
- (٣٣) أُيْتِرِكَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ مُطْرَحًا
وَالنَّهْيُ عَنْ مُنْكَرٍ مَا مَنْ يَقُولُ بِهِ
- (٣٤) كَلَّا وَمَنْ رَفَعَ السَّبْعَ الطَّبَاقَ عَلَى
وَجْهِ الثَّرَى وَتَعَالَى فِي تَحْجِبِهِ
- (٣٥) لَنَقْدِفَنَّ عَلَى بُطْلَانٍ مَذْهَبِهِ
بِصَارِمِ الْحَقِّ مَسْلُولاً وَمِرْزَبِهِ
- (٣٦) حَتَّى يَفِيءَ إِلَى الْإِسْلَامِ عَنْ كَتَبٍ
وَيَتْرَكَ الْكُفْرَ مُقْصِي غَيْرَ مَكْتَبِهِ
- (٣٧) تُقَلِّمُ الْيَوْمَ مِنْ أَصْحَابِنَا كُتُبَ
رَدِّ عَلَى الرُّفْضِ تَرْمِينِهِ بِأَشْهُبِهِ

-
- = غير منجب: باطل، غير مختار.
- ٣١ - عن هذا ودعوته: أي ابن المطهر الحل الرافضي.
- ٣٢ - بكوكبه: أي كوكب شيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٣٣ - مطرحا: مرميا.
- ٣٤ - السبع الطباق: السماوات السبع.
- وجه الثرى: وجه الأرض.
- ٣٥ - صارم الحق: سيفه.
- مرزب: عصي من حديد.
- ٣٦ - مقصي غير مكشب: مبعلا غير قريب.
- ٣٧ - أشهب: جمع شهاب: هو شعلة من نارساطعة.

(مؤاخذات السبكي على شيخ الإسلام والرد عليها)

- (٣٨) وَلَا بِنِ تَيْمِيَّةٍ رَدُّ عَلَيْهِ وَفِي *
 بِمَقْصَدِ الرَّدِّ وَاسْتِيفَاءِ أَضْرِبِهِ
 (٣٩) كَمَا زَعَمْتَ، وَأَوْفَى بِالْمَقَاصِدِ مَعَ
 كَيْدِ الْحَسُودِ وَمَعَ إِرْغَامِ أَرْبِهِ
 (٤٠) حُسْنًا وَضَرْثَهَا بِالْحُسْنِ شَاهِدَةٌ
 لَهَا وَمَا الْحُسْنُ إِلَّا مَا شَهِدَتْ بِهِ
 (٤١) وَقُلْتَ بَغِيًّا وَعَدْلًا شَابَهُ حَسَدٌ
 وَالشُّوبُ يَظْهَرُ حِينَئِذٍ مِنْ مُشَوِّبِهِ
 (٤٢) لَكِنَّهُ خَلَطَ الْحَقَّ الْمُبِينَ بِمَا *
 يَشَوِّبُهُ كَثُرَ فِي صَفْوِ مَشْرَبِهِ
 (٤٣) يُحَاوِلُ الْحَشْوَ أَنِّي كَانَ فَهَوَ لَهُ *
 حَيْثُ سِيرَ بِشَرْقٍ أَوْ بِمَغْرِبِهِ

- ٣٨ - من آيات السبكي.
 استيفاء أضربه: إعطاءه إياها حقها.
 ٣٩ - مع إرغام أربه: مع رغم أنفه. والأرب: طرف الأنف.
 ٤٠ - ضرتها: أي المرأة، وهما الضرتان: زوجتا الرجل، كل واحدة منهما ضرة للأخرى.
 ٤١ - شابه: امتزجه.
 والشوب يظهر ... الخ بمعنى: «يكاد المرهب أن يقول خلونى»
 ٤٢ - من آيات السبكي.
 لكنه خلط: أراد به شيخ الإسلام.
 ٤٣ - من آيات السبكي.
 الحشو لغة: ملء الوسادة وغيرها بشيء وما يجعل فيها حشو أيضا. =

= وفي الاصطلاح: عبارة عن الزائد الذى لا طائل تحته».

والحديث: السريع.

يحاول الحشو: يتهم السبكي شيخ الإسلام بأنه يرى الحشو والتجسيم. ونعوذ بالله من ذلك.

وإليكم ما قال شيخ الإسلام نفسه في توضيح هذه المسألة:

«وقد قيل: أول من قال في الإسلام أن القديم جسم هو: هشام ابن الحكم. كما

أن أول من أظهر في الإسلام نفى الجسم هو الجهم بن صفوان».

وكلام السلف والأئمة في ذم الجهمية كثير مشهور، فإن مرض التعطيل شر

من مرض التجسيم، وإنما كان السلف يذمون المشبهة (مجموع فتاوى شيخ الإسلام:

١٣ / ١٥٤ طبعة الرياض)

وقال بعد ما فصل الكلام في الجهة والحيز:

فهذا التفصيل يزول الاشتباه والتضليل، والأفكل من نفى شيئاً من الأسماء والصفات

سمى من أثبت ذلك مجسماً قائلاً بالتحيز والجهة (مجموع فتاواه: ٦ / ٤٠) ونرى أن

كتابات شيخ الإسلام مليئة بالرد على المجسمة والنفاة (فتاواه: ١٧ / ٢٩٦)

وبين أن الفرقة الناجية — أهل السنة والجماعة — وسط في (باب صفات الله سبحانه

وتعالى) بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة (المصدر المذكور) ٣ / ١٤١ =

العقيدة الواسطية)

ومع هذا، لم يتوان خصومه من المعاصرين (أمثال التقى السبكي، وأحمد

الكلائي، وابن بطوطة، وأبى حيان النحوى، وأبى بكر الحصنى) وغيرهم من المتأخرين

(مثل الكوثرى وأذباله) في أن يرموه بالحشو والتجسيم والتشبيه وأمرهم كما قال الشاعر:

إن يعلموا الخير يخفوه وإن علموا شراً أذيع وإن لم يعلموا كذبوا.

ومعلوم أن أهل الباطل من المبتدعة قديماً وحديثاً — سمو أهل السنة والحديث بمثل هذا

اللقب الخبيث. كما ذكره ابن قتيبة في (تأويل مختلف الحديث).

والشيخ عبدالقادر الجيلانى في (غنية الطالبين)، والشاه أحمد بن عبدالرحيم المعروف

ببولى الله الدهلوى في (حجة الله البالغة). والسيد محمود الآلوسى في شرحه لكتاب

(مسائل الجاهلية للإمام ابن عبدالوهاب) وقال الإمام ابن القيم — وهو يبين تاريخ

تلقيبهم أهل السنة بالحشوية:

=

= ومن العجائب قولهم لمن اقتدى
 حشوية يعنون حشوا في الوجو
 ويظن جاهلهم بأنهم حشوا
 إذ قولهم فوق العباد وفي السما
 ظن الحمير بأن « في » للظرف والر
 لاتبتوا أهل الحديث به فما
 بل قولهم إن السماوات العلى
 أترونه المحصور بعد أم السما
 كم ذا مشبهة وم حشوية
 يا قوم إن كان الكتاب وستة ال
 إنا بجمد إلهنا حشوية
 تدرون من سمّت شيوخكم بها
 سمى به عمرو لعبد الله ذا
 فورثم عمرا كما ورثوا لعب
 تلرون من أولى بهنا الاسم وه
 من قد حشا الأوراق والأذهان من
 هنا هو الحشوي لأهل الحديد

بالوحي من أثر ومن قرآن
 د وفضلة في أمة الإنسان
 رب العباد بداخل الأكوان
 ء الرب ذو الملكوت والسلطان
 حمن محوى بظرف مكان
 ذا قولهم تباً لذي البهتان
 في كف خالق هذه الأكوان
 يا قومنا ارتدعوا عن العدوان
 فالبهت لا يخفى على الرحمن
 مختار حشوا فاشهدوا ببيان
 صرف بلا جحد ولا كتمان
 ذا الاسم في الماضي من الأزمان
 ك ابن الخليفة طارد الشيطان
 دالله أنى يستوى الإثران
 سو مناسب أحواله بوزان
 بدع تخالف موجب القرآن
 ث أئمة الإسلام والإيمان

(النونية: ١ / ٣٧٠ - ٣٧٢)

(عمرو بن عبيد رأس المعتزلة هو الذى سمى عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما -
 حشويا) وقال شيخ الإسلام ردا على نفاة الصفات:
 «وأما ما نفيته فهو ثابت بالشرع والعقل، وتسميتك ذلك تشبيها وتجييما تمويه على
 الجهال». (فتاواه ٣ / ٢٣)

وراجع مفصلا عن الحشو والتجسيم في كتاب: «دعوة شيخ الإسلام وأثرها في
 الحركات الإسلامية المعاصرة» (٢٠٧ - ٢١٩) لكاتب هذه السطور (طبع مجمع
 البحوث العلمية الإسلامية بنيودلهى ١٩٩٢م)

(٤٤) يَرَى حَوَادِثَ لَا مَبْدَأَ لِأَوَّلِهَا.

فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُظَنُّ بِهِ

(٤٥) وَاللَّهُ مَا قَالَ أَهْلُ الرُّفْضِ إِذْ حَصَمُوا

هَذَا الْمَقَالَ وَقَدْ صَبَّوْا بِصَبِيهِ

(٤٦) هِدَى تَصَانِيفُ هَذَا الشَّيْخِ سَائِرَةٌ

بِشَرْقِ ذَا الْكَوْنِ لَا تَخْفَى وَمَغْرِبِهِ

(٤٧) صَفْوٌ بِلَا كَدْرٍ طَابَتْ مَوَارِدُهَا

لَذِيذَةٌ كَجَنَى نَحْلِ وَأَغْذِبِهِ

٤٤ — من آيات السبكي.

وفيه تمثيل لرأى الجهمية حيث قالوا: «أن دوام الحوادث ممتنع ... فيمتنع أن يكون الباري عز وجل لم يزل فاعلامتكلمما بمشيئته، بل يمتنع أن يكون قادرا على ذلك لأن القدرة على الممتنع ممتنع. وهذا فاسد» (شرح العقيدة الطحاوية: ص ١٣٢ طبعة المكتب الإسلامي)

وسياتى شيء من مسألة «إمكان وجود حوادث لا أول لها» في البيت رقم (٥٩) الآتى. وقد صببوا بصبيهِ: أصيبوا بمطره أى علمه.

٤٦ — تصانيف شيخ الإسلام مليئة بالرد على الحشوية والمجسمة والمشبهة، راجع على سبيل المثال:

مجموع فتاواه: (٣/ ٥٠، ١٤١، ٤/ ١٤٤ — ١٥٥، ٥/ ٢٥٨، ٦/ ٤٠، ١٣/ ١٥٤، ١٧/ ٢٩٦)، منهاج السنة النبوية. (٢/ ٥٢٠ — ٥٢٢، ٥٥٥ — ٥٦٠ = تحقيق محمد رشاد سالم طبعة جامعة الإمام ١٤٠٦ هـ) وشرح حديث النزول.

في هذه الكتب وغيرها من تصانيف شيخ الإسلام رد على مثل هذه الفرى. فالحمد لله الذى بنعمته تم الصالحات.

٤٧ — طابت مواردها: حسنت مواقعها.

جنى نحل: عسله.

- (٤٨) دَلِيلُهَا الْآيُ وَالْأَخْبَارُ سَاقَتْهَا
 وَالْعِلْمُ يَعْزِضُ فِيهَا خَيْلٌ مُؤَكِّبِهِ
 (٤٩) لَكِنَّ عِيُونَ الْعِدَا تُبْدِي الْمَحَاسِنَ فِي
 ثَوْبِ الْمَسَاوِيءِ فَأَعْجَبَ مِنْ ثَقْلِهِ
 (٥٠) انْظُرْ بِعَيْنِ الرُّضَا تُبْصِرُ بِهَا عَجَبًا
 فَأَعْيُنُ السُّخْطِ عُمَى عَنْ تَعَجُّبِهِ

(تهمة الحشو والتجسيم والرد عليها)

- (٥١) وَسَمَتْ بِالْحَشْوِ أَهْلَ الْحَقِّ إِذْ مَلَأُوا
 وَظَائِفَ الْعِلْمِ مِنْ قَوْلِ بِاطِّيهِ
 (٥٢) قَوْمٌ أَتَاهُمْ صَحِيحُ الثَّقَلِ فَأَتَّبَعُوا
 سَبِيلَهُ وَحَمَوَهُ مِنْ مُكَذِّبِهِ

٤٨ - الآي: الآيات. والأخبار ساقتها: مؤخرتها.

٤٩ - بمعنى:

وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المساويا

٥١ - وسمت بالحشو: اتهمت شيخ الإسلام به.

وقد تقدم في البيت رقم (٤٣) ماله وما عليه.

٥٢ - قال الإمام ابن القيم بمعناه:

ما ذنبهم والله إلا أنهم أخلوا بوحى الله والفرقان

(٥٣) وَأَثْبَتُوا لِإِلَهِ الْعَرْشِ مَا ثَبَتَتْ

فِيهِ النَّقُولُ بِلَا شِبْهِ يُقَاسُ بِهِ

(٥٤) فَرَامَ بَعْضُ أَوْلَى التَّعْطِيلِ دَحْضَهُمْ

فَأَبَ مِنْ قَصْدِهِ الْأَذْنَى بِأَخْيَبِهِ

(٥٥) فَكُلُّ مَنْ قُصِّرَتْ فِي الْعِلْمِ رُبَّتُهُ

وَقَلَّ دِينًا تَجَرًّا فِي تَوْبَتِهِ

٥٣ — النقول: نصوص الكتاب والسنة. وقال الناظم في «نهج الرشاد في نظم الاعتقاد»:

أقرَّ بأن الله جلَّ جلاله
سميع بصير ليس شيء كمثلته
فسبحانه من مالك متكبر
وينزل لا تكيف لي في نزوله
وذلك إذ يبقى من الليل ثلثه
وربِّي كما قد جاء في قوله: «استوى
ومذهبننا: لا كيف لأمثل، لالما؟
تعالى عن التشبيه والوصف والحصر
كما جاء في القرآن إن كنت من تدرى
تفرد دون الخلق بالعزُّ والقهر
تعالى سما الدنيا يقول: سلوا سترى
كذلك حتى يفصل الليل بالفجر
على العرش»، أما كيف ذاك فلا أدري
بالإقرار والإمرار من غير ما فسِّر

٥٤ — أولى التعطيل: الذين ينفون صفات الله تعالى.

دحضهم: لإبطالهم. وآب: رجع.

وقال ابن القيم — رحمه الله —:

والله ما قال امرؤ، منا بأن
والله يعلم أننا في وصفه
أو قاله أيضا رسول الله فهـ
أو قاله أصحابه من بعده
سموه تجسيمًا وتشبيها فلسـ
الله جسم يا أولى الهتكان
لم نعد ما قد قال في القرآن
و الصادق المصدوق بالبرهان
فهم النجوم مطالع الإيمان
نا جاحديه لذلك الهديان

(النونية: ١ / ٣٧٤)

٥٥ — قلَّ دينا: وفي الأصل: «دنيا» وكذا في طبعة الرياض. والصواب ما أثبتناه.

تجرأ في توبته: استيلائه ظلما وعدوانا.

(٥٦) فَأَحْمَدُ الْمُصْطَفَىٰ عُودِيٌّ وَقِيلَ لَهُ

مُذَمَّمٌ وَتَعَالَوْا فِي تَجَنُّبِهِ

(٥٧) وَقِيلَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَوْ رَجُلٌ

مُعَلَّمٌ، كَاهِنٌ يَسْمُو بِأَكْعِبِهِ

(٥٨) لَوْ كَانَ الْإِسْمُ يَشِينُ الْفِعْلَ فِي رَجُلٍ

لَشَانَ خَيْرَ الْبَرَآيَا مِنْ مُلَقَّبِهِ

٥٦ - قال الشاعر:

قيل إن الإله ذو ولد وقيل إن الرسول قد كهنا

مانجا الله والرسول معا من لسان الوري فكيف أنا

٥٧ - يسمو بأكعبه : جمع الكعب، هو العظم الناشز فوق القدم. وكذا الكعب ما يلعب

به.

أى يسمو بالأعبيه وأوهامه.

وقيل: «ساحر.....» إلخ:

ولقد ردّ الله تعالى على الكفار في تلقيبهم النبي ﷺ بمثل هذه الألقاب فقال سبحانه:

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ. اتَّوَاصُوا بِهِ

بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوتٌ﴾ [الذاريات، ٥٢ - ٥٣]

وقال جل وعلا: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ [الدخان: ١٤]

وقال تعالى: ﴿فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ. أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَرَبَّصُ

بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ﴾ [الطور: ٢٩ - ٣٠]

٥٨ - يشين : يعيب.

قال الإمام ابن قيم الجوزية:

تجد المعطل لاعنا لمجسم ومشبهه لله بالإنسان

والله يصرف ذاك عن أهل الهدى كمحمد ومذمم إسمان

هم يشتمون مذمماً ومحمد عن شتمهم في معزل وصيان =

(قضية إمكان حوادث لا أول لها)

(٥٩) أَمَا حَوَادِثُ لَا مَبْدَأَ لِأَوَّلِهَا
فَذَاكَ مِنْ أَغْرَبِ الْمَحْكِيِّ وَأَعْجَبِهِ

= صان الإله محمدا عن شتمهم في اللفظ والمعنى هما صنوان
كصيانة الأتباع عن شتم المعر طل للمشبه هكذا الإثنان
والسب مرجعه إليهم إذ هم أهل لكل مذمة وهوان
وكذا المعطل يلعن اسم مشبهه واسم الموحد في حمى الرحمن
(النونية: ١/ ٤٠٨)

٥٩ — أما حوادث لا مبدأ لأولها.

فقد حصل لفظ كثير في هذه المسألة بين الطوائف، فجلاها شيخ الإسلام في عدد من كتبه. وبين مذهب أهل السنة والحديث، مع الرد على آراء الفلاسفة والمتكلمين. ورماه خصومه بأن القول بإمكان «وجود حوادث لا أول لها» يؤدي إلى التسلسل المتتبع والدور المتتبع، ويؤدي إلى القول بقدوم العالم، فاتهموه بشيء هو باطل عندهم اتباعا لمذهب أهل الكلام المذموم وتمسكهم بأرائهم، ولكنه حق عند شيخ الإسلام في ضوء الأدلة من الكتاب والسنة. فصعد بالحق، ولم يخف في الله لومة لائم، لأن المسألة وثيقة الصلة بإثبات صفات الله تعالى.

قضية وجود حوادث لا أول لها:

قال شيخ الإسلام ماملخصه:

«فيه ثلاثة أقوال:

- قيل: يجوز مطلقا... ولكن المسلمين وسائر أهل الملل يقولون: إن كل ما سوى الله مخلوق حادث بعد أن لم يكن. [وهذا أصح الأقوال]
- وقيل: لا يجوز، لا في الماضي ولا في المستقبل، وهو قول جهم وأبي الهذيل العلاف (وهنا أضعف الأقوال)
- وقيل: يجوز في المستقبل دون الماضي. وهو قول أكثر أتباع جهم وأبي الهذيل من =

• • • • •

= الجهمية، والمعتزلة والأشعرية، والكرامية، ومن وافقهم» (الصفدية: ١/ ١٠ - ١١ .
تحقيق محمد رشاد سالم طبعة الرياض ١٣٩٦ هـ، ومنهاج السنة: ١/ ٤٣٧ - ٤٣٨ ،
طبعة جامعة الإمام ١٤٦٦ هـ)

• هذا القول لا يؤدي إلى التسلسل والدور:

ولقد ذكر شيخ الإسلام أن القول بوجود حوادث لا أول لها لا يؤدي إلى
التسلسل والدور.
قال ما ملخصه:
«الدور نوعان:

(أحدهما): الدور القبلي السبقي: ممتنع باتفاق العلماء. مثل أن يقال لا يكون هذا إلا
بعد ذلك، ولا يكون ذلك إلا بعد هذا ... فإن الشيء لا يكون قبل كونه، ولا يتأخر
كونه عن كونه.

(والثاني): الدور المعنى الاقتراحي: مثل أن يقال: لا يكون هذا إلا مع ذلك لاقبله ولا بعده.
فهذا جائز، كما إذا قيل: لا تكون الأبوة إلا مع البنوة، وقيل: إن صفات الرب اللازمة
له لا تكون إلا مع ذاته، وعلمه مع حياته، وقدرته مع علمه، ونحو ذلك» (الصفدية:
١/ ٥٢ - ٥٤)

وقسم شارح الطحاوية (ص ١٣٥) التسلسل إلى واجب، وممتنع، ويمكن.
فقال ما ملخصه:

• فالتسلسل في المؤثرين محال ممتنع لذاته

• والتسلسل الواجب ما دل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب تعالى في الأبد
... وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرف الأزل، وأن كل فعل مسبوق بفعل
آخر، فإنه لم يزل متكلمًا إذا شاء....

• وأما التسلسل الممكن فالتسلسل في معلولاته من هذا الطرف كما تسلسل في طرف
الأبد. فإنه إذا لم يزل حيا قادرا مريدا متكلمًا، وذلك من لوازم ذاته فالفعل ممكن له
بموجب هذه الصفات له، وأن يفعل أكمل من أن لا يفعل، ولا يلزم من هذا أنه لم يزل
الخلق معه، فإنه سبحانه متقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدما لأول له، فلكل =

= مخلوق أول، والمخالق سبحانه لا أول له، فهو وحده الخالق، وكل ما سواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن»

هذا القول لا يؤدي إلى القول بقديم العالم:

إن خصوم شيخ الإسلام قد يلزمون — لأجل قوله بإمكان حوادث لا أول لها — بما لا يلزم من القول بقديم العالم.

ولقد ردّ شيخ الإسلام في عديد من كتبه، على هذا الفكر الفلسفي الملحد وكفر من قال بقديم العالم بقوله:

«ثم يقال هوذا: إن كنتم تقولون بقديم السماوات والأرض ودوامهما، فهذا كفر، وهو قول بقديم العالم، وإنكار انقطار السماوات والأرض وانشقاقهما.

وإن كنتم تقولون بجدوثهما، فكيف كان قبل خلقهما؟ هل كان منتشرًا متفرقًا معلومًا ثم لما خلقهما صار موجودًا مجتمعًا؟ هل يقول هذا عاقل؟

فأنتم دائرون بين نوعين من الكفر مع غاية الجهل والضلال، فاختراروا أيهما شتم» (مجموع فتاواه: ٢ / ١٨٨)

وفصل شيخ الإسلام في هذه المسألة أيما تفصيل، وأثبت بالبراهين أنه لا يؤدي إلى القول بقديم العالم. (منهاج السنة: ١ / ٢٣٢ — ٢٣٤، والصفدية: ١ / ٥٤، وقال بعد التقرير والتفصيل: «وذلك لا يدل على شيء من قدم العالم»)

القول بامتناع حوادث لا أول لها يؤدي إلى التعطيل:

قال شارح «الطحاوية» (ص ١٣٨):

«والقول بأن الحوادث لها أول يلزم منه التعطيل قبل ذلك، وأن الله سبحانه وتعالى لم يزل غير فاعل، ثم صار فاعلا، ولا يلزم من ذلك قدم العالم، لأن كل ما سوى الله تعالى محدث ممكن الوجود، موجود بإيجاد الله تعالى له، ليس له من نفسه إلا العدم والفقر، والاحتياج وصف ذاتي لازم لكل ما سوى الله تعالى، والله تعالى واجب الوجود لذاته، غني لذاته، والغنى وصف ذاتي لازم له سبحانه وتعالى.» =

- (٦٠) قَصَّرَتْ فِي الْفَهْمِ فَاقْصُرْ فِي الْكَلَامِ فَمَا
 ذَا عَشُّكَ اذْرُجْ فَمَا صَقَّرْ كَعُنْظِبِهِ
 (٦١) لَوْ قُلْتَ قَالَ كَذَا ثُمَّ الْجَوَابُ كَذَا
 لَبَانَ مُخْطِئٌ قَوْلٍ مِنْ مُصَوِّبِهِ
 (٦٢) أَجْمَلْتَ قَوْلًا فَأَجْمَلْتَ الْجَوَابَ وَلَوْ
 فَصَّلْتَ فَصَّلْتَ تَبَيَّنًا لِأَعْرَبِهِ
 (٦٣) إِنْ قُلْتَ كَانَ وَلَا عِلْمٌ لَدَيْهِ وَلَا
 كَلَامٌ لَا قُدْرَةَ أَصْلًا كَفَرْتَ بِهِ

= نفى حلول الحوادث بين الرد والقبول:

- وقال في شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٢٩ - ١٣٠):
 «وحلول الحوادث بالرب تعالى، المنفى في علم الكلام المذموم، لم يردّ نفيه ولا إثباته في
 كتاب ولا سنة، وفيه إجمال.
 فان أريد بالنفى أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثه،
 أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن - فهذا نفى صحيح.
 وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء
 إذا شاء ولا أنه يغضب ويرضى - لا كاحد من الورى - ولا يوصف بما وصف به
 نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته فهذا نفى باطل».
 (راجع للتفصيل في هذه المسألة كتاب؟ «دعوة شيخ الإسلام» (مبحث
 «إمكان وجود حوادث لا أول لها» (٢٢٠ - ٢٤٥).
 ٦٠ - عشك: موضع الطائر المصنوع من دقاق الحطب في أفنان الشجر.
 ماذا عشك أدرج: امض ليس لك فيه حق، كما يقال: «ليس بعشك فادرجي»
 العنظب: الجراد الضخم، أو الذكر الأصفر منه.
 ٦٣ - نفت الجهمية المعطلة عن الله تعالى صفاته العليا، قال الإمام ابن القيم:
 ونفوا كلام الرب جل جلاله وقضوا له بالخلق والحديثان =

(٦٤) أَوْ قُلْتَ أَحَدْتَهَا بَعْدَ اسْتِحَالَتِهَا

فِي حَقِّهِ سَمْتُ نَقْصٍ مَا اخْتَجَجْتَ بِهِ

(٦٥) وَكَيْفَ يُوجِدُهَا بَعْدَ اسْتِحَالَتِهَا

مِنْهُ أَيَقْلِرُ مَيْتٌ رَفَعَ مِنْكِبِهِ

(٦٦) أَوْ قُلْتَ فَعُلَ اخْتِيَارٍ مِنْهُ مُمْتَنِعٌ

ضَاهَيْتَ قَوْلَ امْرِئٍ مُغْوٍ بِأَنْصِبِهِ

= قالوا وليس لرينا سمع ولا
وكذلك ليس لرينا من قدرة
كلا ولا وصف يقوم به سوى
وحياته هي نفسه وكلامه
ولأجل ذا ضحى بجعد خالد
إذا قال إبراهيم ليس خليله
شكر الضحية كل صاحب سنة
بصر ولا وجه فكيف يدان
وإرادة أو رحمة وحنان
ذات مجردة بغير معان
هو غيره فاعجب لذا الهتان
القسري يوم ذبائح القرينان
كلا ولا موسى الكلم الداني
لله درك من أخى قرينان

(النونية: ٢٦/١ - ٢٩)

٦٤ - سَمْتُ: صفة.

يلزم على هذا القول من الفساد أن الله عز وجل لم يزل معطلا عن الفعل أو غير قادر عليه ثم صار فاعلا وقادرا من غير تجدد سبب أصلا أوجب له القدرة والفعل» (شرح النونية: ٣٥/١)

٦٦ - أنصب: جمع النصب. حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها، ويذبح لغير الله عندها.

ضاهيت: شاكلت، وشابهت.

قال ابن القيم - رحمه الله - في جهنم بن صفوان:

وقضى بأن الله كان معطلا
ثم استحال وصار مقدورا له
بل حاله سبحانه في ذاته
والفعل ممتنع بلا إمكان
من غير أمر قام بالديان
قبل الحدوث وبعدها سيان

(النونية: ٣٤/١)

(٦٧) وَلَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِ الْفِعْلِ مُتَّصِفًا

وَبِالْكَلَامِ بَعِيدًا فِي تَقَرُّبِهِ

٦٧ — قال شارح «الطحاوية»:

«أن الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفا بصفات الكمال: صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها، لأن صفاته سبحانه صفات الكمال، فقدما صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده.

ولابد على هذه، صفات الفعل، والصفات الاختيارية ونحوها: كالخلق والتصوير، والإمامة، والإحياء، والقبض، والبسط، والطي، والاستواء، والإتيان والحجى، والنزول، والغضب، والرضى ونحو ذلك عما وصف به نفسه ووصفه به رسوله — وإن كنا لاندرک کنه وحقیقته التي هي تأويله، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، ولكن أصل معناه معلوم لنا، كما قال الإمام مالك — رضى الله عنه —: لما سئل عن قوله تعالى: (ثم استوى على العرش) (الأعراف: ٥٤) وغيرها، كيف استوى؟

فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول (وتتمته: والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة).

وإن كانت هذه الأحوال تحدث في وقت دون وقت كما في حديث الشفاعة: «إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله» (البخارى مع الفتح: ٦ / ٣٧١؛ ومسلم: الحديث رقم ١٩٤ عن أنى هزيمة رضى الله عنه).

لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن. ألا ترى أن من تكلم اليوم، وكان متكلما بالأمس لا يقال: أنه حدث له الكلام، ولو كان غير متكلم لآفة كالصفر والخرس، ثم تكلم، يقال: حدث له الكلام. فالساكت لغير آفة يسمى متكلما بالقوة، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء. وفي حال تكلمه يسمى متكلما بالفعل.

وكذلك الكاتب في حال الكتابة هو كاتب بالفعل ولا يخرج عن كونه كاتباً في حال عدم مباشرته الكتابة...» (شرح العقيدة الطحاوية: ١٢٧ — ١٢٨)

(٦٨) سُبْحَانَهُ لَمْ يَزَلْ مَا شَاءَ يَفْعَلُهُ

فِي كُلِّ مَا زَمَنِي مَا مِنْ مُعَقَّبِهِ

(٦٩) نَوْعُ الْكَلَامِ كَذَا نَوْعُ الْفِعَالِ قَدِيدٌ

سُمْ لَا الْمُعَيَّنُ مِنْهُ فِي تَرْبِيهِ

(٧٠) وَلَيْسَ يَفْهَمُ ذُو عَقْلٍ مُقَارَنَةً أَلْ

حَفْعُورٍ مَعَ فَاعِلٍ فِي نَفْسٍ مَنْصِبِهِ

(٧١) يُحِبُّ يُبْغِضُ يَرْضَى ثُمَّ يَعْضَبُ ذَا

مِنْ وَصْفِهِ، أَرْضِيهِ، بَعْدَ لِمُعْضَبِهِ

(٧٢) وَالْخَلْقُ لَيْسَ هُوَ الْمَخْلُوقُ تَحْسِبُهُ

بَلْ مَصْدَرٌ قَائِمٌ بِالنَّفْسِ فَادْرِبِهِ

(٧٣) وَقَوْلُ كُنْ لَيْسَ بِالشَّيْءِ الْمَكُونِ وَالصَّ

غَيْرُ يَعْرِفُ هَذَا مَعَ تَلْعَبِهِ

٦٨ — ما من معقبه: ما من شيء جاء بعقبه. وليس أحد يؤخذ عليه سبحانه وتعالى.

٦٩ — قال شارح الطحاوية (ص ١١٢ — ١١٣ ط ثامنة ١٤٠٤ هـ):

«وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى القديم، وليس هو من الأسماء الحسنی، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن: هو المتقدم على غيره ... ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لافيما لم يسبقه علم ...

أما إدخال القديم في أسماء الله تعالى فهو مشهور عند أكثر أهل الكلام وقد

أنكر ذلك كثير من السلف والخلف، ومنهم ابن حزم ...»

٧٣ — وقد رد الإمام ابن القيم على نافي صفات الله تعالى قائلا:

فجحدت أوصاف الكمال مخافة التثبيبه والتجسيم بالإنسان
ووقعت في تشبيبه بالنساقصات الجامدات وذا من الخذلان
الله أكبر هتكت أستاركم حتى غلوتم ضحكة الصبيان

(النونية: ١ / ١٣٩)

(٧٤) فَأَلْمُصْطَفَى قَالِ كَانَ اللهُ قَبْلُ وَلَا
شَيْءٌ سِوَاهُ تَعَالَى فِي تَحْحِيْبِهِ

(مؤاخذات أخرى والرد عليها)

(٧٥) وَقُلْتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا قَوْلَ ذِي حَسَدٍ
أُخْطَا الْهُدَى وَتَجَارَى فِي تَنْكِبِهِ
(٧٦) لَوْ كَانَ حَيًّا يَرَى قَوْلِي وَيَسْمَعُهُ*
رَدَدْتُ مَا قَالَ رَدًّا غَيْرَ مُشْتَبِهٍ
(٧٧) كَمَا رَدَدْتُ عَلَيْهِ فِي الطَّلَاقِ وَفِي*
تَرْكِ الزِّيَارَةِ أَقْفُو إِثْرَ سَبِّهِ

٧٤ — أشار به إلى حديث عمران بن حصين — رضي الله عنه — الذي رواه عن النبي ﷺ،
وفيه:

«قالوا جنناك لتتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر. فقال: كان الله ولم يكن
شيء قبله...» (البخاري: ٦ / ٢٨٦)

٧٥ — تجارى في تنكبه: تسابق في عدوله عنه.

٧٦ — من آيات السبكي، وكذا البيت الذي يليه.

لو كان: أي شيخ الإسلام.

٧٧ — ألف التقى السبكي عدة رسائل في مسألة الطلاق رداً على شيخ الإسلام، ومنها:
«الدرّة المضيئة في الرد على ابن تيمية» و «نقد الاجتماع والافتراق في مسائل الأيمان
والطلاق» و «النظر المحقق في الحلف بالطلاق المعلق» / وقد فصل شيخ الإسلام
القول في هذه المسائل في عديد من كتبه. راجع البيت رقم (٨٦) الآتي. وكذلك ردّ
عليه السبكي في مسألة «شد الرحال» في كتابه «شفاء السقام في زيارة خير الانام» فردّ =

(٧٨) فَضَحْتَ نَفْسَكَ فِي هَذَا الْمَقَالِ وَلَمْ
تَشْعُرْ وَعَجَجْتَ عَنِ الْمَرْعَى وَأَخْصَبِهِ

(٧٩) عَرَفْتَنَا أَنْ مَا قَدْ قُلْتَ لَيْسَ لِي وَجْهٌ
بِاللَّهِ بَلْ لِلْمَرَا أَقْبَحُ بِمَنْصِبِهِ

(٨٠) إِذْ لَوْ أُرِدْتَ بَيَانَ الْحَقِّ قُلْتَ بِهِ
فِي مَحْضَرِ الْخَصْمِ إِمَّا فِي مُغَيَّبِهِ

(٨١) مَا ذَاكَ صَدَّكَ بَلْ خَوْفُ الْجَوَابِ كَمَا
أَجِبْتَ قَبْلَ بَسْئَلِهِمْ مِنْ مُصَوَّبِهِ

= عليه ابن عبد الهادي في كتابه «الصارم المنكى في الرد على السبكي»، وألف شيخ الإسلام عدة كتب في الموضوع راجع البيت (رقم ٩٢) وراجع رد الناظم على السبكي في مسألة الطلاق، في البيت رقم (٨٥) الآتي وما بعده. وفي مسألة شد الرحال، في البيت رقم (٩٢) وما بعده من الآيات.
أقفو: أتبع:

إثر: بعد.

السبب: المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة.

أقفو إثر سببه: أتبع غرائبه وشوارده.

٧٨ — عَجَجْتَ: انخرقت عنه، ولم ترض به.

٧٩ — للمرأة: الخصام

أقبح بمنصبه: ما أقبح منصبه.

٨٠ — محضر الخصم: حضور الخصم.

٨١ — صدك: منعك.

- (٨٢) ذَا شَأْنٍ مَنْ لَمْ يُجَرِّدْ صَارِمًا ذَكَرًا
 مَاضِي الْغَرَارَيْنِ عَضْبًا مِنْ مُجْرِبِهِ
 (٨٣) لَكِنْ إِذَا الْأَسَدُ الضَّرْعَامُ غَابَ عَنِ الْ
 عَرِينِ تَسْمَعُ فِيهِ ضَبْحٌ ثَعْلَبِهِ
 (٨٤) كَذَا الْجَبَانَ خَلَا فِي الْبِرِّ صَاحَ الْآ
 مُبَارِزٌ وَتَعَالَى فِي تَوْبِهِ

(مسألة الطلقات الثلاث)

- (٨٥) وَلَوْ سَمِعْتَ جَوَابَ الرَّدِّ رُحْتَ فَتَيَّ
 مِنْ أَعْظَمِ الْخَلْقِ عَنْ جُرْمٍ وَأَثْوَبِهِ

٨٢ — ماضى الغرارين: ماضى الحدين. الغرار: حد الرمح والسهم والسيف.
 عضباً: قاطعاً.

٨٣ — العرين: مأوى الأسد.

ضبح: ضباح: صوت الثعلب (في الأصل: «ضبح»، والصواب ما أثبت).

٨٤ — خلا: انفرد بنفسه.

مبارز: مقاتل.

تعالى: بالغ في ظلمه وعدوانه.

ومثله قول الشاعر:

وجبان قلب أعزل قد رام يأ سر فارساً شاكى السلاح بهزه

٨٥ — من أعظم الخلق: كذا في الأصل، وفي الهامش: «ولعل الوجه من أبعده الخلق
 كما هو ظاهر».

(٨٦) وَقَدْ كَفَّانِي أَبُو الْعَبَّاسِ كَلَّفَتْهُ

كَذَا أَرَحْتُ لِسَانِي غَيْرَ مُتَعَبِهِ

٨٦ — أبو العباس: كنية شيخ الإسلام.

لقد كانت هناك اختيارات فقهية لشيخ الإسلام جرت لأجل الإفتاء بها محن وقلقل.
ومنها:

قوله: «بالتكفير في الحلف بالطلاق»

وأن «الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة»

وأن «الطلاق المحرم لا يقع»

وله في ذلك مصنفات ومؤلفات كثيرة، ومنها:

• «تحقيق الفرقان بين التطليق والأيمان»

• «الفرق المبين بين الطلاق واليمين»

• «قاعدة في أن جميع أيمان المسلمين مكفرة»

• «قاعدة في التقرير أن الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة»

• «التفصيل بين التكفير والتحليل»

• «اللمعة»

• «مجموع فتاواه» (المجلد الثالث والثلاثون = الطلاق)

توضح هذه الكتب والرسائل والفتاوى والقواعد والأجوبة مذهب شيخ الإسلام في مسائل الطلاق المذكورة المختلف فيها، في ضوء الأدلة من جهة، وترد على شبهات معاصريه حولها من جهة أخرى.

من أراد التفصيل في الموضوع فليراجع «مجموع فتاواه» (٣٧/ ٣٦١ — ٣٢٤

= الفهارس) لكشف المواضع التي تكلم فيها حول هذه المسائل.

وكتاب «شيخ الإسلام» (مبحث الطلاق)

ولايفوتني أن أذكر بهذه المناسبة ما تقدم في مقدمة التحقيق من تحول الملك

(خدا بنده) من أهل السنة إلى مذهب الشيعة. وذلك بسبب مخالفة المفتي حديث

النبي ﷺ في الطلاق الثلاث. واستغله ابن المطهر الحلي، فأفتى حسب حديث

=

النبي ﷺ، فحدث ما حدث.

(٨٧) وَوَأَفَقَّتُهُ سَرَاةُ النَّاسِ عَنْ كَتْبِ

مِنْ أَهْلِ مَذْهَبِهِ أَوْ غَيْرِ مَذْهَبِهِ

(٨٨) مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ وَالْآيَاتِ شَاهِدَةً

لَهُمْ وَلِلْحَقِّ مِصْبَاحٌ يَبِينُ بِهِ

(٨٩) عِبَتْ الَّذِي قَالَ مَا فِيهِ الْخِلَافُ مِنْ إِدِ

قَاعِ الثَّلَاثِ وَلَوْ أَقْبَى بِأَغْرَبِهِ

= هنا هو جزء من يخالف السنة ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ

تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]

— ٨٧ سرة الناس: أعلامهم وأفضلهم.

لقد وافق كبار العلماء في عصورهم، شيخ الإسلام في مسائل الطلاق. وأطال تلميذه التحرير ابن قيم الجوزية النفس في كتبه: «إغاثة اللهفان» و «زاد المعاد»، و «إعلام الموقعين» بما لا مزيد عليه.

وأيدهما من علماء السنة وفقهاء الحديث بعدهما: الإمام الشوكاني، وصديق حسن خان، وصاحب عون المعبود، وصاحب تحفة الأحوذى وغيرهم من متأخري علماء الهند الأعلام.

ودافع عن شيخ الإسلام من الشعراء: أبو المظفر السمرى (ناظم هذه القصيدة)، والعلامة أبو عبدالله محمد بن جمال الدين يوسف الشافعى اليمنى (وقصيدته تأتي بعد هذه القصيدة)، من المتقدمين. والشاعر الشهير معروف بن عبد الغنى الرصافي (١٣٦٤ هـ) من المتأخرين.

راجع كتاب «شيخ الإسلام» (مبحث الطلاق) لكاتب هذه السطور.

— ٨٨ من أهل بغداد: راجع موافقة أهل بغداد وغيرهم شيخ الإسلام في مسألة شد الرحال وغيرها في البيت (رقم ٩٢)

— ٨٩ راجع مبحث الطلاق الثلاث بلفظ واحد في: «إغاثة اللهفان» (٢٨٣/١ — ٣٢٨) و «إعلام الموقعين» (٤١/٣ — ٦٣)، و «زاد المعاد» ٤/٥١ — ٦٥) كلها لابن قيم الجوزية. وفيها تقرير لما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمهما الله تعالى — في هذا الموضوع.

- (٩٠) وَقُلْتَ تَنْكِحُ زَوْجًا غَيْرَهُ وَنِكَاحُهَا مَعَ الْخُلْفِ بَاقٍ فِي تَذَبُّدِهِ
- (٩١) وَكَيْفَ تَنْكِحُ مَنْ لَمْ تَبْرِي عِصْمَتَهَا
- بِلَا خِلَافٍ لِشَخْصٍ مَعَ تَجَنُّبِهِ

(مسألة شد الرحال إلى القبور)

- (٩٢) وَفِي الزِّيَارَةِ لَمْ تُصِفْ رَدَدَتْ عَلَيَّ مَا لَمْ يَقُلْهُ وَلَمْ تَمُرَّرْ بِسَبَبِهِ

- ٩٠ - مع الخلف : مع الاختلاف.
- ٩١ - لم تبرأ عصمتها: ما برأت من ذمة زوجها. و «استبرأها» لم يدخلها حتى تحيض.
- ٩٢ - ولم تمرر بسببه: أشاره إلى قول السبكي: «أقفوا إثر سببه» في البيت رقم (٧٧) المتقدم آنفا.

لما تطرقت البدع إلى أوساط المسلمين: وبدأوا يعتقدون في المشاهد والقبور، والأضرحة والمزارات ما لم ينزل الله به سلطاناً، من شد الرحال إليها والاستغاثة بأهلها، صارت هذه القضية مفروغا من الكلام فيها عند العلماء، فضلا عن العامة من الناس، واعتبرت من القضايا الحساسة التي تستغل لإثارة غضب الجماهير ضد من يتكلم فيها.

ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية الذي أشرب قلبه بالإيمان الخالص، والعقيدة الصحيحة لما سئل عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة حينما كان في القاهرة، فردّ عليه رداً مستنظاً من الكتاب والسنة، ونهى عنه استدلالاً بحديث النبي ﷺ:

«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى». (البخاري: ٦٣/٣، ومسلم رقم (١٣٩٧) عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -)

فاستغل هذه الفتيا سنة ست وعشرين وسبعمائة، القاضي المالكي تقي الدين =

(٩٣) رَدًّا مُلَحَّصُهُ أَشْيَاءُ أَذْكَرُهَا

إِمَّا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ عِنْدَ مَطْلَبِهِ

= الإخْتَانِي (— ٧٥٠ هـ) بعد صلورها ببضع عشرة سنة، وزاد فيها ونقص ورماه بالتنقيص بمنزلة النبي ﷺ وحرص السلطان عليه تقرباً إليه، وكسباً لعواطف الجماهير من الناس أيضاً، وألف رسالة أسماها «المقالة المرضية في الرد على من ينكر الزيارة المحمدية» (مجموع فتاواه: ٢٧ / ١٨٢)

فرد شيخ الإسلام على الإخْتَانِي وغيره ممن رد عليه في هذه المسألة (مثل الزمركاني، والسبكي، وابن احاج وغيرهم) في عديد من كتبه، ومنها:

* «الرد على الإخْتَانِي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية».

* «المنسك القديم والجديد».

* «الجواب الباهر في زوار المقابر».

— ٩٣ — والعجب أن مخالفي شيخ الإسلام لم يستفيلوا من كتبه المليئة بالاستدلال بنصوص الكتاب والسنة على مراده الواضح بل ردّوا ما عرفوا من الأدلة، وتناقلوها فيما بينهم من دون التأكد من صحتها وضعفها.

وبين العلامة ابن عبد الهادي في كتابه «الصارم المنكي في الرد على السبكي» ما يؤيد ما ذهب إليه ناظم هذه القصيدة، من إهماله النظر في الحديث صحة وضعفاً، وإلزامه شيخ الإسلام ما لا يلزم، فقال:

«فإني وقفت على الكتاب الذي ألفه بعض قضاة الشافعية في الرد على شيخ الإسلام ... في مسألة شد الرحال وإعمال المطى إلى القبور. وذكر أنه كان قد سمّاه «شن الغارة على من أنكر سفر الزيارة»، ثم زعم أنه اختار أن يسميه «شفاء السقام في زيارة خير الأنام»، فوجدت كتابه مشتملاً على تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتقوية الآثار الواهية والمكثوبة، أو تحريفها عن مواضعها، وصرافها عن ظواهرها بالتأويلات المستنكرة المردودة.

ورأيت مؤلف هذا الكتاب رجلاً ممارياً معجباً برأيه متبعاً لهواه ...»

(الصارم المنكي: ١٨ — ١٩ = طبعة دار الإفتاء بالرياض ١٤٠٣ هـ)

وقال ابن عبد الهادي أيضاً:

«ولقد أخبرني الثقة أنه ألف هذا الكتاب لما كان بمصر قبل أن يلى القضاء بالشام بمدة

- (٩٤) إِمَّا صَحِيحٌ وَلَكِنْ لَا دَلِيلَ بِهِ
عَلَى مُرَادِكَ بَلْ هَذَا لِمَنْصِبِهِ
- (٩٥) إِمَّا بِمُجْمَلِ لَفْظِ قَوْلِ خَصْمِكَ مِنْ
أَقْوَى الْمَقَالِ بِهِ قَسْرًا وَأَصْوَبِهِ
- (٩٦) إِمَّا بِلَا عِلْمٍ لِي وَالْجَهْلُ غَايَتُهُ
أَيُعْذَرُ الشَّخْصُ فِيمَا لَا أَحَاطَ بِهِ
- (٩٧) فَأَيُّ رَدٍّ لَعَمْرِي قَدْ رَدَدْتَ وَمَا
ذَا قُلْتَ إِذْ قُلْتَ أَقْفُو إِثْرَ سَبِّهِ
- (٩٨) إِنْ كَانَ عِنْدَكَ فِي شِدَّةِ الرَّحَالِ إِلَى الْ
قُبُورِ نَقْلٌ فَعَارِضُهُ بِمَوْكِبِهِ
- (٩٩) لِيَعْرِفَ الْحَقُّ مَنْ كَانَ أَحَا نَظِيرٍ
نَحَالٍ مِنَ الْعِلْمِ نَاءٍ عَنِ تَعَصُّبِهِ
- (١٠٠) أَنِّي وَذَلِكَ كَالْعَنْقَاءِ فِي عَدَمِ
وَكَالسَّمْنَدَلِ يُحْكَى مَعَ تَغْيِبِهِ

= كبيرة ليتقرب به القاضى الذى حكى عنه هذا الكذب، ويحظى لديه، فخاب أمه ولم ينفق عنده. وقد كان هذا القاضى (وهو ابن مخلوف) الذى جمع المعترض (أى السبكى) كتابه هذا لأجله — من أعداء الشيخ المشهورين» (المصدر المذكور: ص

(٢١)

٩٥ — قسرا: قوة وشدة.

٩٦ — أيعذر الشخص: أيقبل له عذر.

٩٩ — ناء: بعيد.

١٠٠ — السمندل: في «لسان العرب»: «أبو سعيد السمندل: طائر إذا انقطع نسله وهم ألقى نفسه في الجمر فيعود إلى شبابه. وقال غيره: هو دابة تدخل النار فلا تحرقه». =

- (١٠١) مَا أَنْتَ إِلَّا كَمَا قَدْ قِيلَ فِي مَثَلِ
 خَالِفٍ لَتُعْرَفَ مَشْهُورٌ لِضَرْبِهِ
 (١٠٢) فَشَيْخُنَا بِصَرِيحِ الْحَقِّ حُجَّتُهُ
 وَتَقَدُّ نَقْلِكَ زَيْفٌ فِي تَقْلِبِهِ
 (١٠٣) فَمَنْ أَحَقُّ بِحَقِّ الْقَوْلِ إِنْ ظَهَرَ الْإِ
 انْصَافُ مَرْتَفِعاً مِنْ فَوْقِ مَرْقَبِهِ

(مناقرات أخرى والرد عليها)

- (١٠٤) وَقُلْتَ مَا بَعْدَهُ لِلرَّدِّ فَائِدَةٌ*
 هَذَا وَجَوْهَرُهُ مِمَّا أَضُنُّ بِهِ
 (١٠٥) مَاذَا الْكَلَامُ وَمَا مَعْنَاهُ قُلُّهُ لَنَا
 أَمْدَحُ أَمْ هَجَوُ اعْرَبَ عَنِ مُعْرَبِهِ

= وفي «القاموس»: «طائر في الهند لا يحترق بالنار».

فالنعناء، والسمندل، والغنجول طيور معروفة الأسماء مجهولة الأجسام، يضرب بها المثل في الترابية والنسرة والقلة.

— ١٠١ — لضرّبه: لأصنافه وأنواعه.

— ١٠٢ — فشيخنا: شيخ الإسلام حجته صريحة داحضة، وأدلتك ضعيفة مزيفة متقلّبة، كما تقدم آنفاً في البيت رقم (٩٣).

— ١٠٣ — فوق مرقبه: علوه.

— ١٠٤ — وقلت: أشار الناظم إلى قول السبكي: «وبعده لأرى للردّ فائدة» إلخ مما أضنُّ به: مما يُحصُّ في.

- (١٠٦) مَا ذَلِكَ الْجَوْهَرُ الْمَضْنُونُ وَيَحَكَ هَلْ
تَعْنِي بِهِ الشَّيْخُ أَوْ رَدًّا لِمَذْهَبِهِ
(١٠٧) فَإِنْ يَكُ الشَّيْخُ مَاذَا الطَّعْنُ فِيهِ أَوْ أَلْ
جَوَابٌ عَنْ قَوْلِهِ نَوَّرَ بِغَيْهِهِ
(١٠٨) وَالرَّدُّ يَحْسُنُ فِي حَالَيْنِ: وَاحِدَةً*
لِقَطْعِ خَصْمٍ قَوِيٍّ فِي تَعْلِيهِ
(١٠٩) وَحَالَةٍ لِإِنْتِفَاعِ النَّاسِ حَيْثُ بِهِ*
هُدًى وَرِيحٌ لَدَيْهِمْ فِي تَكْسِيهِ
(١١٠) كَتُمُ الْعُلُومِ حَرَامٌ لَا يَجُوزُ لِدُنَى
عِلْمٍ يَضُنُّ بِعِلْمٍ عِنْدَ طَلْبِهِ
(١١١) وَالرَّدُّ فِي الْحَالَةِ الْأُولَى مَضَى هَدْرًا
فَاسْتَدْرِكِ الْحَالَ الْأُخْرَى قَبْلَ مَذْهَبِهِ

- ١٠٦ — المضمون: الغالى.
١٠٧ — فإن يك الشيخ: إن عنيته به شيخ الإسلام، فقل ما هو الطعن فيه؟ وما هو الجواب عن أقواله وأدلته؟ غيبه: ظلامه.
١٠٨ — هنا البيت، والذي يليه من أبيات السبكي.
١١٠ — كتم العلوم حرام: روى الحاكم عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «من كتم علماً أجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» (المستدرک علی الصحیحین: ١/ ١٠٢ وصححه، ووافقه الذهبي. وراجع صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني (رقم ٦٥١٧).
يضمن بعلم: يخص به نفسه دون طلبة العلم.
١١١ — الحالة الأولى: هي قطع الخصم وإفحامه. راجع البيت (رقم ١٠٨) مضى هدرًا: ذهب سدى.

=

- (١١٢) فَقُلْ وَرُدَّ إِنْ اسْطَعْتَ السَّبِيلَ إِذَا
وَأَنْفَعُ بِهِ النَّاسَ كَيْ تَحْطَى بِأَثْوَبِهِ
(١١٣) حَاشَا وَكَلَّا وَأَنْتَ بِالسَّبِيلِ إِلَى
رَدِّ الصَّوَابِ وَقَدْ وَافَى بِكِبْكِبِهِ
(١١٤) قُلْ كَيْ تَرَى سُنَّاتِنَا فِي سَنَنِ آلِ
هُدَى تُنْكَسُ جَهْمًا عَنْ تَوْبَتِهِ
(١١٥) وَرَهْطُهُ وَتُرَيْكَ الْحَقُّ أَظْهَرَ مِنْ
شَمْسِ الضُّحَى وَهَلَالًا وَسَطَ غَيْبِهِ

(علم الكلام ماله وما عليه)

- (١١٦) وَقُلْتَ إِذْ ضَاقَ نَهْجُ الذَّمِّ عَنْكَ لَهُ
مَا يُؤْهِمُ الْعُمَرَ طَعْنًا فِي جَوْنِبِهِ
(١١٧) وَلَيْسَ لِلنَّاسِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ هُدًى*
بَلْ بَدْعَةٌ وَضَلَالٌ فِي تَطَلُّبِهِ

- = الحال الأخرى: هي انتفاع الناس، كما تقدم في البيت (رقم ١٠٩).
١١٢ - تحظى بأثوبه: تتمكن مما هو أكثر ثواباً.
١١٣ - كِبْكِبِهِ: جماعته.
١١٤ - سنن الهدى: نهجه، وجهته.
تُنْكَسُ جَهْمًا: تقلبه رأساً على عقب في ظلمه واستيلائه.
١١٦ - الْعُمَرُ: من لم يجرب الأمر من الخاقدين.
جَوْنِبُ: تصغير الجانب.
١١٧ - من أبيات السبكي.
=

(١١٨) أ أَنْتَ أَمْ هُوَ رَدُّ الْمُنْطَقِ الْأَفْنِ أَلْ

مُغْوِي بِأَصْوَابٍ مَنَقُولٍ وَأُصْلَبِهِ

(١١٩) فَالْشَيْخُ مَا احْتَجَّ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ بِمَا

يُخَالِفُ النَّقْلَ بَلْ تَكْثِيرُ مِقْنَبِهِ

= علم الكلام: «علم باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قاعدة

الإسلام» (التعريفات للجرجاني ص ١٥٦)

والمذموم من علم الكلام ما يجعل فيه العقل عياراً على الكتاب والسنة.

وقال الناظم في «نهج الرشاد»:

لاخير في علم الكلام لأنه خلاف كلام المصطفى الطاهر المطهر

أدلته لا من كتاب وسنة بل من كلام الأخطل الفاجر العر

يدور على التعطيل لأدّر درّه بتمويه قول في المخارج مزور

١١٨ — الأفن: الذي يعجبك ولا خير فيه.

أصلبه: أقواه وأشده.

لقد أكثر شيخ الإسلام الردّ على المناطقة في عديد من مؤلفاته، وألف كتاباً

مستقلاً في مناقضة أصولهم وقواعدهم، أسماه «نقض المنطق» وهو مطبوع عدة

طباعات مستقلاً، وكذا طبع في ضمن «مجموع فتاواه» أيضاً. وهو كتاب مهم جداً

في بابه.

وقال الناظم في «نهج الرشاد»:

ويكفى سوائى أنه متمسك بتعليم المنطق السئ الشر

عقيدته أن الكتاب وسنة الله جى معاً ليسا دليلاً على أمر

ولكن دليل الأمر والنهى عنده نتيجة أفكار على عقله يجرى

وذاك دليل في الشريعة باطل لأننا عرفنا الله بالنقل لا الفكر

ومعرفة الرحمن بالعقل فهرة عليه وليس العرف بالشئ كالنكر

١١٩ — تكثير مقننه: أى مجموعة النقل، والنصوص.

- (١٢٠) أَرَادَ يُعَلِّمُ شَيْخَ الرَّفْضِ أَنَّ جَمِيعَ
عِ الْخَلْقِ رَدٌّ عَلَيْهِ فِي تَأْلِيهِ
(١٢١) وَطَالَمَا دَلَّ أَهْلَ الْعِلْمِ قَاطِبَةً
بِالنُّقْلِ وَالْعَقْلِ تَقْرِيراً لِأَصْوَبِهِ
(١٢٢) وَهَبَهُ أُخْطَا أَلَمْ تُعَلِّمَ بِأَنَّ لَهُ
أَجْرَ اجْتِهَادٍ فَقَصَّرَ فِي تَثْرِيهِ
(١٢٣) لَقَدْ تَحَجَّرَتْ فِيهِ وَاسِعاً وَكَذَا
كَ الشَّافِعِيُّ الَّذِي تُعْرَى لِمَذْهَبِهِ
(١٢٤) ثُمَّ اخْتَمَّتْ بِقَوْلِ رَدِّ آخِرِهِ
عَلَى مُقَدِّمِهِ نَكْصاً لِأَعْقِبِهِ

١٢٠ - شيخ الرضا: ابن مطهر الحلي صاحب «مناجاة الكرامة»
تأليه: فساد، وتمرضه.

١٢٢ - هبة: احسبه.

أجر اجتهاد: عن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال:
«إذا حكم الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» (صحيح
البخاري): ١٣ / ٣١٧؛ وصحيح مسلم رقم: ١٧١٦
تثريه: ملامه وتعييره.

١٢٣ - تحجرت: ضيقت عليه واسعاً.

تُعْرَى لمذهبه: تنسب إليه، والخطاب للسبكي وهو شافعي المذهب. معناه عندي والله
أعلم: إنك إذ تحجرت واسعاً على شيخ الإسلام في اجتهاده، فالإمام الشافعي - رحمه
الله - أيضاً مجتهد ويلزم عليه ما يلزم على شيخ الإسلام.

١٢٤ - نكصاً: رجوعاً. يقال: نكص على عقبيه: رجع عما كان عليه من خير.

- (١٢٥) وَلِي يَدٍ فِيهِ لَوْلَا ضَعْفُ سَامِعِهِ*
- جَعَلْتُ نَظْمَ بَسِيطِي فِي مُهَذَّبِهِ
- (١٢٦) عِبْتُ الْكَلَامَ بَدِيًّا وَافْتَحَرْتُ بِهِ
- أَخِيرًا اعْجَبَ لِبَانِيهِ مُحَرِّبِهِ
- (١٢٧) زَعَمْتُ فِيهِ ضَلَالًا ثُمَّ قُلْتُ وَلِي
- فِيهِ يَدٌ بُسِطَتْ، جَهْلٌ بَجَحَتْ بِهِ
- (١٢٨) هَذَا لَعَمْرِي كَرَامَاتٌ لِصَاحِبِنَا
- إِذْ صَدَّ شَانِيَهُ عَنْ كُلِّ مَأْرِبِهِ
- (١٢٩) وَلَيْسَ هَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ أَوْلَةً
- مِنَ الْكَرَامَاتِ فِي أَصْحَابِ يَثْرِبِهِ

١٢٥ - من أبيات السبكي.

لي يد فيه: لي مهارة في علم الكلام.

بسيطي: البسيط: ثالث بحور العروض. ووزنه الأصلي:

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

١٢٦ - بدياً: ابتداءً.

١٢٧ - زعمت فيه: في علم الكلام.

بجحت به: فرحت به.

١٢٨ - لصاحبنا: لشيخنا شيخ الإسلام.

شانيه: خصمه.

مأربه: حاجته.

١٢٩ - يثرب: اسم مدينة النبي ﷺ.

(الانتصار لشيخ الإسلام وبيان علمه وفضله وزهده وتقواه)

- (١٣٠) وَقَعَتْ فِي الشَّيْخِ إِذْ رَدَّ الرَّوَافِضَ فِي
 قَعْرِ الْحَضِيضِ وَكَانُوا فَوْقَ مَرْقَبِهِ
 (١٣١) أَوْهَمْتَنَا فِيكَ رَفْضًا فِي كَلَامِكَ وَالْ
 إِنْسَانَ قَدْ يُبْتَلَى مِنْ تَحْتِ مِذْرَبِهِ
 (١٣٢) وَذَاتُ صَدْرِ الْفَتَى تَبْدُو لِصَاحِبِهِ
 مِنْ فَرْجِ تَارَةٍ أَوْ مِنْ تَعْضُيبِهِ
 (١٣٣) وَلَا اعْتَبَارَ بِنَزْرِ مِنْ هِجَائِهِمْ
 دِينَ التَّقِيَّةِ غَالُوا فِي تَلْزِيهِ

١٣٠ - وقعت في الشيخ: شيخ الإسلام.

قعر الحضيض: غور الأرض.

فوق مرقبه: فوق رقبته.

١٣١ - أوهمتنا ... الخ: من حيث إنك تقع في شيخ الإسلام الذي رد على خزعلات الروافض.
 مِذْرَبِهِ: لسانه.

والإنسان قد يبتلى ... الخ:

ويقال: لسانك حصانك، إن صنته صانك وإن خنته خانك.

١٣٢ - ذات صدر الفتى: ما يكنه في صدره من الفضائل أو الرذائل.

١٣٣ - نزر: قليل من الكلام يدل على عي.

التقية: قال شيخ الإسلام: «والرافضة تجعل هذا في أصول دينها، وتحكى هذا عن أئمة
 أهل البيت الذين برأهم الله عن ذلك حتى يحكوا ذلك عن جعفر الصادق أنه قال:
 «التقية ديني ودين آبائي» - وقد نزه الله المؤمنين من أهل البيت وغيرهم عن ذلك،
 بل كانوا من أعظم الناس صدقاً، وتحقيقاً للإيمان. وكان دينهم التقوى لا التقية.» =

- (١٣٤) وَقَدْ كَفَانَا إِمَامُ الْوَقْتِ أَمْرُهُمْ
بِالرَّدِّ إِذْ سَارَ فِي شَرْقٍ وَمَغْرِبِهِ
- (١٣٥) فَفَضَّلَهُ كَضِيَاءِ الشَّمْسِ مُضْجِيَةً
رَأَدَ الضُّحَى ظَاهِرٌ يَرْمِي بِأَشْهُبِهِ
- (١٣٦) أَبْدَى أُصُولَ الْهُدَى لِلنَّاسِ وَاضِحَةً
كَالْبَدْرِ جِئِنَ تَجَلَّى وَسَطَ غَيْهَبِهِ
- (١٣٧) سَارَتْ تَصَانِيفُهُ فِي الْعَالَمِينَ مَسِيرَ
رَ النَّيِّرِينَ فَاقْدِرْ عِرْ لِه

-
- = (منهاج السنة: ١/ ١٥٩ = الأميرية)
- تلزيمه: لحوقه ولصوقه وثبوته.
- ١٣٤ - إمام الوقت: شيخ الإسلام.
بالرد: رده على الروافض في كتابه «منهاج السنة».
- ١٣٥ - مُضْجِيَةً: ظاهرة بادية.
رأد الضحى: ارتفاعه.
أشهبه: جمع شهاب: وهو شعلة من نار ساطعة.
- ١٣٦ - أصول الهدى: ما من مسألة لفظ فيها الناس إلا وأبدى فيها شيخ الإسلام رأيه
المستنبط من نصوص الكتاب والسنة، وجلاها من غير أن يخاف في الله لومة لائم.
وهذا لا يحتاج إلى دليل.
- ١٣٧ - سارت تصانيفه مسير النيرين: الشمس والقمر.
قال الشوكاني: «إنه بعد موته عرف الناس مقداره، واتفقت الألسن بالثناء عليه إلا من
لا يعتد به، وطارت مصنفاته، واشتهرت مقالاته»
(البلد الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني: ١/ ٦٥ = دار المعرفة
بيروت).
- «وتصانيفه نحو أربعة آلاف كراسة أو أكثر» (المصدر المذكور: ١/ ٧٢).
- فا قدر عبرته: كذا وقع في الأصل بدون نقط. والكلمات غير مقروءة.

- (١٣٨) حَوَى الْعُلُومَ مُجِدًّا فِي تَطَلُّبِهَا
 إِذْ غَيْرُهُ الْمَالُ أَضْحَى جُلَّ مَطْلَبِهِ
 (١٣٩) لَمْ يَعْلَمُوا عِلْمَهُ مِنْ أَجْلِ ذَا حَسَدُوا
 وَالنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا لَا يَعْلَمُونَ بِهِ
 (١٤٠) لَمْ يَثْنِبْهُمْ عَنْهُ لَا دِينَ وَلَا وَرَعَ
 عَمُوا وَصَمُّوا وَلَجُّوا فِي تَأْتِبِهِ

١٣٨ — حوى العلوم: إليكم ما يدل على حوايته العلوم من قول الحافظ أنى الفتح ابن سيد الناس اليعمرى حيث قال:

«حداني — يعنى المزي — على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين فالفيتة ممن أدرك من العلوم حظاً، وكان يستوعب السنن والآثار حفظاً. إن تكلم في التفسير فهو حامل رأيت، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته. برز في كل فن على أبناء جنسه. ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأته عينه مثل نفسه...» (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني: ١/ ١٥٦ = دار الجيل بيروت)

• وقال الشوكاني:

«أنا لا أعلم بعد ابن حزم مثله، وما أظنه سمح الزمان ما بين عصر الرجلين بمن شابههما أو يقاربهما» (البلد الطالع: ١/ ٦٤)

١٣٩ — كما قال الشاعر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا علمه والناس أعداء له وخصوم

١٤٠ — لم يثنهم عنه: لم يردهم من الحسد والحقد عليه.

لجوا في تأتبه: خاضوا في توبيخه.

قال الحافظ ابن سيد الناس بعد ما ذكر علمه وفضله:

«.... إلى أن دب إليه من أهل بلده داء الحسد، وألب أهل النظر على ما ينتقد عليه من أعور المعتقد فحفظوا عنه في ذلك كلاماً أوسعوه بسببه ملاماً...» =

(١٤١) إِمَامٌ صِدْقٍ لَهُ فِي الْعِلْمِ مَرْبَّةٌ

شَمًا بِمُعْجَمِهِ فِيهَا وَمُعْرَبِهِ

(١٤٢) بَدَتْ لَهُ زِينَةُ الدُّنْيَا وَزَهْرَتُهَا

فَرَدَّهَا وَتَمَادَى فِي تَجَنُّبِهِ

(١٤٣) وَغَيْرُهُ بَدَّلَ الدِّينَ الْمَكْرَمَ فِي

تَّحْصِيلِهَا وَتَنَاهَى فِي تَوْبِهِ

ثم نازع طائفة أخرى ينتسبون من الفقر إلى طريقة فأضت إلى الطائفة الأولى من منازعيه، واستعانت بنوى الضغن عليه من مقاطعيه فوصلوا بالأمرء أمره، وأعمل كل منهم في كفه فكره، فرتبوا المحاضر، وألبوا الروبيضة للسعي بها بين الأكابر. (الدررالكامنة: ١/ ١٥٧)

— ١٤١ — شماء: عالية.

ولا ريب أن شيخ الإسلام كان إمام صدق في المعاصرين، وصار باحتماله المحن والشدائد لسان صدق في الآخرين. قال الإمام الشوكاني: «وقد أثنى عليه جماعة من أكابر علماء عصره فمن بعدهم ووصفوه بالتفرد، وأطلقوا في نعته عبارات ضخمة وهو حقيق بذلك والظاهر أنه لو سلم مما عرض له من المحن المستغرقة لأكثر أيامه، المكثرة لذهنه، المشوشة لفهمه، لكان له من المؤلفات والاجتهادات ما لم يكن لغيره» (البلر الطالع: ١/ ٧٢)

— ١٤٢ — تمادى في تجنبه: تغالى في بعده عنها.

قال الشهاب ابن فضل الله:

«لما قدم ابن تيمية على البريد إلى القاهرة في سنة سبعمائة نزل عند عمى شرف الدين، وحض أهل المملكة على الجهاد (أى ضد التتار) فأغلظ القول للسلطان والأمرء. ورتبوا له في مقر إقامته في كل يوم ديناراً ومخفقة طعام، فلم يقبل شيئا من ذلك. وأرسل له السلطان بقجة قماش، فردَّها» (الدررالكامنة: ١/ ١٥٢)

— ١٤٣ — تنهى في توبته: جاوز الحد في استيلائه على الدنيا.

• تقدم في شرح البيت رقم (٩٣) أن السبكي ألف كتابه «شفاء السقام» ردّاً على =

(١٤٤) شَتَانٌ بَيْنَهُمَا فِي الْحُكْمِ يَا سُبْكِي

كَمْ يَبِينُ صَادِقِ قَوْلٍ مِنْ مُضَرَّبِهِ
(١٤٥) فَالْعِلْمُ وَالْفَقْرُ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ

وَالْمَالُ وَالرُّهْدُ فِي شَرْقٍ وَمَغْرِبِهِ
(١٤٦) لِأَنَّ ذَا الْعَرْشِ يَحْمِي أَهْلَ طَاعَتِهِ الدُّ

نِيَا حِمَى أَهْلِ مَرِيضٍ مَا يُضَرِّبُهُ

= شيخ الإسلام في مسألة شد الرحال إلى القبور ليتقرب به إلى القاضي الذي كان من أعدائه فخاب أمه ولم ينفق عنده» (الصارم المنكي ص ٢١)

• قال أبو زرعة (العراق): قلت مرة لشيخنا الإمام البلقيني: ما تقصير الشيخ تقي الدين السبكي عن الاجتهاد، وقد استكمل، إليه، وكيف يقلد؟ قال: «... فسكت. فقلت: فما عندي أن الامتناع من ذلك إلا للوظائف التي قُدرت للفقهاء على المذاهب الأربعة، وأن من خرج عن ذلك لم ينل شيئا من ذلك، وحرَم ولاية القضاء، وامتنع الناس من استفتائه، ونُسبَ إليه البدعة فتبسم، ووافقني على ذلك» (الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف لولي الله الدهلوي ص - ٧٣ = تحقيق عبدالفتاح أبو غده) ثم ردَّ الدهلوي على هذا القول إحسانا بالظن.
• وطلب التقي السبكي عند وفاته من السلطان أن يولى القضاء ابنه التاج السبكي فأجيب له ذلك.

١٤٤ - مضربه: مغلطه.

شتان بين الانتقال من سجن إلى سجن، ومن محنة إلى الأخرى لأجل الصدع بالحق، وبين السعي للحصول على المناسب والتربع على كرسي القضاء في الدولة.
«شتان بينهما في الحكم يا سبكي»

١٤٥ - مقرونان: مزيوطان

«لا يطلب العلم براحة الجسم»

- (١٤٧) فَشَيْخُنَا تَرَكَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتْهَا
وَوَحَّصْنَاهُ مِنْ هَوَاهَا فِي تَعَذُّبِهِ
- (١٤٨) وَاللَّهِ لَوْلَمْ يَكُنْ بِالدِّينِ مُتَّسِمًا
أُشْمِتَتْ فِيهِ الْأَعَادِي عَنْ مُعْتَبِهِ
- (١٤٩) فَالْفَتْكَ قَيْدُهُ التَّقْوَى وَمَذْهَبُنَا
تَرْكُ الْجِدَالِ وَتَأْنِيْبُ لِطَالِبِهِ

١٤٧ — راجع البيتين (١٤٢، ١٤٣) مع شرحهما.

١٤٨ — مُتَّسِمًا: منهمكاً فيه، ومعروفاً به.

أُشْمِتَتْ عن معتبه: أفرحتهم بما يعانیه من عتاب ومحنة ومصيبة.

١٤٩ — الفتك: ركوب ما دعت إليه النفس.

معلوم أن شيخ الإسلام أودى كثيراً من قبل قضاة الدولة وفقهائها. وكانوا يوالون الجاشنكير الذي تسلطن بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون ظلماً. فلما رجع الملك الناصر إلى الحكم سنة ٧٠٩ هـ قتل الجاشنكير، وحمل شيخه نصر المنبجى الحلولى، وهلك في زاويته وقتل كثير من رؤوس الشر والفساد. وبهذه المناسبة أراد الملك الناصر أن يقضى على الفقهاء والقضاة الذين خالفوه، ووالوا الجاشنكير وهم الذين تكرّر منهم الإفتاء بقتل شيخ الإسلام حيناً، وبحبسه حيناً آخر. فانتهاز الناصر هذه الفرصة واستفتى شيخ الإسلام في قتل بعضهم، فتفطن ما في قلبه، وقال:

«... ففهمت مقصوده أن عنده حقناً شديداً عليهم لما خلعوه، وبايعوا الجاشنكير، فشرعت في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك. أما أنا فهم في حلّ من حقى وجهتى. وسكنت ما عنده عليهم. قال: فكان القاضى زين الدين ابن مخلوف قاضى المالكية (الذى ألف السبكى كتابه «شفاء السقام» في الرد على شيخ الإسلام تقرباً إليه) يقول بعد ذلك:

«ما رأينا أتقى من ابن تيمية، لم يُبقي ممكناً في السعى فيه، ولما قدر علينا عفاعنا»

(العقود الدرية: ٣٨٢ — ٣٨٣، والبداية والنهاية: ١٤/ ٥٤)، =

(١٥٠) فَهَذِهِ نُبْدَةٌ أُورِدَتْهَا عَجَلًا

عَنِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ نَصْرًا لِمَذْهَبِهِ
(١٥١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا أُسْتَعِينُ بِهِ

عَلَى ذَوِي الْبِدْعِ الْأَعْدَا لِمَنْصِبِهِ
(١٥٢) ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى شَرَفًا

وَصَحْبِهِ وَمَنْ اسْتَهْدَى بِكُوكِبِهِ

* * * *

هكذا لم يكن يكفر من كفره لأنه كان يقول: إن التكفير حق الله وسوله.
والكافر من كفره الله تعالى ورسوله ﷺ.

هذا هو معنى قول الناظم:

فالفتك قيده التقوى ...

١٥٠ - نبذة: ناحية من نواحي مناقب شيخ الإسلام، والانتصار لمذهبه: مذهب السلف
الصالح من الصحابة والتابعين، - رضوان الله عليهم أجمعين -
وآخر بيت من أبيات السبكي هو:

هو الذي قاله السبكي مرتجلاً وللبيسط انتمى في بعض أضربه
فرد الناظم السرمرى عليه بقوله:

فهذه نبذة أوردها عَجَلًا عن ابن تيمية نصراً لمذهبه

تم هذا التعليق على «الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية» لأبي المظفر العبادي
السرمرى - رحمه الله تعالى - بعون الله الوهاب وبنعمته تم الصالحات.
والحمد لله أولاً وآخراً. وصلى الله على نبينا وعلى آله وصحبه أجمعين.

نيو دلهي :

بقلم الراجي إلى عفو الله الصمد

يوم السبت

صلاح الدين مقبول أحمد

١٦ / ٧ / ١٤١١ هـ

غفر الله له ولوالديه وإخوانه ومشائخه

٢ / ٢ / ١٩٩١ م.

قصيدة

في الرد على النقي السبكي والردفاع عن ابن تيمية

لأبي عبد الله محمد بن يوسف الشافعي اليمني

تقديم وتعليق

صلاح الدين مقبول احمد



مجمع البحوث العلمية الإسلامية

تحت إشراف

مركز "أبوالكلام آزاد" للتوعية الإسلامية

٨/١ جوغاباتي، نيودلهي - ١١٠٠٢٥ (الهند)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الناظم

أبو عبدالله الشافعي اليمنى

وقصيدته

في الدفاع عن شيخ الإسلام ابن تيمية

صاحب هذه القصيدة هو: أبو عبدالله محمد بن جمال الدين يوسف الشافعي اليمنى، لم نعثر على ترجمة^(١) هذا العالم الجليل إلا أن قصيدته تنبىء عن علمه وفهمه وذكائه، وسلامة معتقده واستقامة دينه وكفى — لأن المهم هو دفاعه عن الحق وانتصاره لمذهب السلف الصالح وهو حاصل بكلامه — رحمه الله — أما شخص الإنسان فليس مقصوداً بذاته. ومع هذا وصفه ناشر القصيدة بقوله:

«قال الشيخ الإمام العلامة أبو عبدالله محمد بن جمال الدين يوسف الشافعي اليمنى»^(٢)

قصيدته:^(٣)

لقد وفق الله تعالى الناظم توفيقاً عظيماً فجادت قريحته الوقادة بهذه القصيدة الرائعة في الدفاع عن شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله —

-
- (١) قال الدكتور محمد رشاد سالم أيضاً: «لم أجد ترجمته في كل المراجع التي بين يدي» (منهاج السنة: ١/ ١٠٩ مقدمة التحقيق) طبعة جامعة الإمام بالرياض.
- (٢) تقاريط لمنهاج السنة (ص ٧ المطبوعة مع الطبعة الأميرية)
- (٣) نشرت هذه القصيدة في «تقاريط» منهاج السنة (٧ — ١١) وجلاء العينين في محاكمة =

والانتصار لمذهبه. وكشف اللثام عن المغالطات والتمويهات التي انطلت على كثير من الناس.

وكان وقعها على أهل البدع والأهواء في غاية من الشدة حتى رمى أحدهم (وهو كمال أبو المنى الشخص المشبوه) ناظمها بالعمى في البصيرة، والافتنان بابن تيمية^(٤) لما رأى دفاعه عن الحق وردّه على الباطل بكل قوة وحزم. ولاريب أن وقية أمثال هؤلاء الرعاع في فحول العلماء إن دلت على شيء فإنما تدلّ على سلامة عقيدتهم، وكال دينهم، ودفاعهم عن الحق واجتنابهم من الباطل.

فإن أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لى بأنى كامل

* * *

تحتوى هذه القصيدة البليغة الرائعة على مائة وعشرة أبيات مع ابيات التقى السبكي، على النحوالتالى:

قدّم الناظم بعشرة أبيات تمهيداً لقصيدته أولاً. ثم ذكر قصيدة السبكي بكاملها وهي ستة عشر بيتاً. وعقب عليها برده المسهب، وبدأ

= الأحمدين للآلوسى (ص ١٩ وما بعدها)، ومنهاج السنة (١/ ١١٠ - ١١٧ مقدمة التحقيق) وقام المحقق الدكتور محمد رشاد سالم بمقابلة النص المطبوع لهذه القصيدة في «منهاج السنة» (طبع الأميرية) بالنص المطبوع في جلاء العينين. وما كان من كلامه وتحقيقه نقلته كما هو، مشيراً في نهايته إلى اسمه بحرف (م) اعترافاً بفضله - رحمه الله - والفضل للمتقدم.

(٤) مقدمة «الرسائل السبكية» (ص ٦٧)، والتوفيق الربانى (ص ٧٧).

يناقض قصيدته مشيراً إلى كل بيت منها، ففصل المسائل، وبين قوة استدلال شيخ الإسلام عليها في ضوء الكتاب والسنة، وأظهر ضعف متمسك السبكي وقال:

(٧٢) نزلت حول حماه كى تنازله فما علوت عليه بل علوت به
وقال فى أواخر القصيدة:

(١٠٧) هذا جوابك يا هذا موازنةً بحراً وقافيةً فى النظم والشبه

* * *

الحمد لله تعالى أولاً وآخراً والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين وأصحابه الغر الميامين — رضى الله عنهم أجمعين.

صلاح الدين مقبول أحمد

غفر الله له ولوالديه وإخوانه ومشايخه

* * *

نص

قصيدة أبي عبدالله محمد بن يوسف اليمنى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(التمهيد)

- (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا أُسْتَزِيدُ بِهِ
فَضْلَ الْإِلَهِ وَآتَى مَا أُمِرْتُ بِهِ
- (٢) وَأُسْتَعِينُ بِهِ فِي كُلِّ مُعْضَلَةٍ
تَأْتِي فَمَا حَابَّ عَبْدٌ يَسْتَعِينُ بِهِ
- (٣) فَهُوَ الْإِلَهُ الْكَرِيمُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ أَلْ
فَرْدُ الْمُجِيرِ لِعَبْدٍ يَسْتَجِيرُ بِهِ
- (٤) ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا طَلَعَتْ
شَمْسٌ وَمَا قَدْ سَرَى نَجْمٌ بَغِيهِهِ
- (٥) وَبَعْدُ فَاسْمَعُ كَلَامًا قَدْ تَفَوَّهَهُ
قَاضِي الْقَضَاةِ تَقِيُّ الدِّينِ وَاتَّبِعَهُ
- (٦) أُعْنِي أَبَا الْحَسَنِ السُّبْكِيَّ حِينَ غَدَا
يَبْغِي مِنَ الْأَمْرِ مَالًا يَسْتَقِلُّ بِهِ
- (٧) فَقَالَ يَذْكُرُ مَا رَدَّ الْإِمَامُ عَلَيَّ
حِزْبِ الرُّوَافِضِ رَدًّا غَيْرَ مُشْتَبِهٍ

٢ — معضلة : مشكلة. وجمعها : المعضلات : المشكلات والشدائد.

٤ — بغيه : بظلامه.

٥ — في «ج» (جلاء العينين للآلوسي) (ص ١٩) : «تقوله» (م).

تقى الدين : على بن عبد الكافي السبكي (٦٨٣ — ٧٥٦ هـ).

٦ — ما لا يستقل به : ما لا يحمله.

٧ — «ج» (ص ١٩) : «فقال ذلك إذ رد الإمام على» (م).

الإمام : شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني (٦٦١ — ٧٢٨ هـ).

- (٨) أُعْنَى ابْنُ تَيْمِيَّةَ الْحَبْرَ الَّذِي شَهَدَتْ
بِفَضْلِهِ فَضْلًا لِلنَّاسِ وَالنَّبِيَّ
(٩) فَاسْتَحْسَنَ الرَّدَّ حَتَّى رَاحَ يَمْدَحُهُ
بِمَا أزالَ مِنَ الْإشْكَالِ وَالشُّبُهَةِ
(١٠) لَكِنَّهُ بَعْدَ هَذَا الْمَدْحِ خَالَفَهُ
وَقَالَ أَيْبَاتٍ شِعْرٍ غَيْرِ مُنْجِبِهِ

* * *

(قصيدة التقى السبكي)

- (١١) إِنَّ الرُّوَافِضَ قَوْمٌ لَا خَلَاقَ لَهُمْ
مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ فِي عِلْمٍ وَأَكْذَبِهِ

- ٨ - الحَبْرُ : العالم الصالح. التَّبُّه : جمع التَّيْبِه : أهل التَّبِيهِ والْفِطْنَةِ والذِّكَاةِ.
٩ - فَاسْتَحْسَنَ الرَّدَّ : استحسِن السبكي ردَّ شيخ الإسلام على الروافض في سِفْرِهِ الْقِيمِ
«منهاج السنة النبوية»
١٠ - غَيْرِ مُنْجِبٍ : باطل، خلاف المختار.
١١ - لِاخْتِلاقِ لَهُمْ : لانصيب لهم من الخير. قال الإمام ابن قيم الجوزية:
«كل أحد يعلم أن أهل الحديث أصدق الطوائف، كما قال ابن المبارك: وجدت
«الدين» لأهل الحديث، و«الكلام» للمعتزلة، و«الكذب» للرافضة، و«الحيل» لأهل
الرأى وسوء الرأى والتدبير «لآل أنى فلان» (مختصر الصواعق المرسله : ٢ / ٣٥٩،
والمنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص ٤٨٠ = طبعة السلفية بالقاهرة) راجع البيت
رقم (٢٠) مع شرحه من قصيدة السررى.

(١٢) وَالنَّاسُ فِي غُنْيَةٍ عَنْ رَدِّ إِيكِهِمْ
لِهَجْنَةِ الرَّفْضِ وَاسْتِقْبَاحِ مَذْهَبِهِ

(١٣) وَابْنُ الْمُطَهَّرِ لَمْ تَطْهُرْ خَلَائِقَهُ
دَاعٍ إِلَى الرَّفْضِ غَالٍ فِي تَعْصِبِهِ

(١٤) لَقَدْ تَقَوَّلَ فِي الصَّحْبِ الْكِرَامِ وَلَمْ
يَسْتَحْيِ مِمَّا افْتَرَاهُ غَيْرَ مُنْجِيهِ

(١٥) وَلِابْنِ تَيْمِيَّةٍ رَدُّ عَلَيْهِ وَفِي
بِمَقْصِدِ الرَّدِّ وَاسْتِيفَاءِ أَضْرِبِهِ

(١٦) لَكِنَّهُ خَلَطَ الْحَقَّ الْمُبِينَ بِمَا
يَشْوِبُهُ كَدْرٌ فِي صَفْوِ مَشْرِبِهِ

١٢ - هجنة: ما يعاب به، القبح.

١٣ - ابن المطهر: هو جمال الدين الحسن بن يوسف الحلبي (٦٤٨ - ٧٢٦ هـ) المشهور عند الشيعة بالعلامة صاحب «مناهج الكرامة» الذي رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «مناهج السنة النبوية». راجع البيت رقم (١٥) مع شرحه من قصيدة السرمرى.

١٤ - «ج» (ص ٢٠): «يستحي من افتراء غير منته» (م).

١٥ - رد عليه: أي على ابن المطهر الحلبي.

«ج»: «استيفاء» (م). استيفاء: إعطاء الشيء حقه.

(١٧) يُحَاوِلُ الْحَشْوُ أَنْ يَكَانَ فَهْوَهُ لَهُ

(١٨) حَثِيثٌ سَيْرٌ بِشَرْقٍ أَوْ بِمَغْرِبِهِ
يَرَى حَوَادِثَ لَا مَبْدَأَ لِأَوَّلِهَا

(١٩) فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُظَنُّ بِهِ
لَوْ كَانَ حَيًّا يَرَى قَوْلِي وَيَسْمَعُهُ

(٢٠) رَدَدْتُ مَا قَالَ رَدًّا غَيْرَ مُشْتَبِهٍ
كَمَا رَدَدْتُ عَلَيْهِ فِي الطَّلَاقِ وَفِي

تَرْكِ الزِّيَارَةِ أَقْفُو إِثْرَ سَبَبِهِ

١٧ - افترى السبكي على شيخ الإسلام بأنه يرى الحشو والتجسيم. والحشو: لغة: ملع الوسادة وغيرها بشيء، وما يجعل فيها حشو أيضا.

واصطلاحا: عبارة عن الزائد الذي لا طائل تحته: (التعريفات للجرجاني ص ٨٦ = دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ) راجع البيت رقم (٤٣) مع شرحه، من قصيدة السرمري، وكتاب «دعوة شيخ الإسلام وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة» (٢٠٧ - ٢١٩) لكاتب هذه السطور. والبيت رقم (٤٥) وما بعده من هذه القصيدة.

١٨ - فرية أخرى على شيخ الإسلام بأسلوب جعل المعروف منكرا، والمنكر معروفاً. فما نسبته السبكي إلى شيخ الإسلام خطأ عنده على مذهب أهل الكلام المذموم، وحق عند شيخ الإسلام في ضوء الأدلة من الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح.

(راجع التفصيل في قضية «إمكان وجود حوادث لا أول لها» في البيت رقم (٥٩) مع شرحه، من قصيدة السرمري، وكتاب «دعوة شيخ الإسلام» (المبحث المذكور) (٢٢٠ - ٢٤٥) والبيت رقم (٥٧) وما بعده من هذه القصيدة.

١٩ - رد الناظم: أبو عبدالله الشافعي عليه في البيت رقم (٩٩) من قصيدته هذه.

٢٠ - «في اللسان»: السبب: «الأرض القفر البعيدة» والمعنى أنه تتبّع غرائب وشوارده بالرد (م).

راجع الرد في مسألة الطلاق في البيت رقم (٨٦) مع شرحه من قصيدة السرمري،

وفي مسألة الزيارة وشدّ الرحال إلى القبور في البيت رقم (٩٢) - وما بعده من

قصيدة المذكور. وسيأتي رد الناظم على السبكي في هاتين المسألتين على الترتيب

في الأبيات ذات الأرقام (٧٣) وما بعده؛ و (٨٨) وما بعده.

- (٢١) وَبَعْدَهُ لَا أُرَى لِلرَّدِّ فَائِدَةً
هَذَا وَجَوْهَرُهُ مِمَّا أَضُنُّ بِهِ
- (٢٢) وَالرَّدُّ يَحْسُنُ فِي حَالَيْنِ: وَاحِدَةً
لِقَطْعِ حَصْمٍ قَوِيٍّ فِي تَعْلُبِهِ
- (٢٣) وَحَالِيَةٌ لِإِنْتِفَاعِ النَّاسِ حَيْثُ بِهِ
هُدًى وَرِيحٌ لَدَيْهِمْ فِي تَكْسِبِهِ
- (٢٤) وَلَيْسَ لِلنَّاسِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ هُدًى
بَلْ يَدْعَاةٌ وَضَلَالٌ فِي تَطَلُّبِهِ
- (٢٥) وَلِي يَدٌ فِيهِ لَوْلَا ضَعْفُ سَامِعِهِ
جَعَلْتُ نَظْمَ بَسِيطِي فِي مُهْدَبِهِ
- (٢٦) هَذَا الَّذِي قَالَهُ السُّبْكِيُّ مُرْتَجِلاً
وَلِلْبَسِيطِ اتَّمَى فِي بَعْضِ أَضْرِبِهِ

* * *

- ٢١ - أضن به: أخص به.
- ٢٢ - «ج»: تكلبه: (م).
- ٢٣ - «ج»: «هدى وريح جزيل في تكسبه» (م).
- ٢٤ - علم الكلام: علم باحث عن الأعراض الناتية للموجود من حيث هو على قاعدة الإسلام، (التعريفات للجرجاني ص ١٥٦)
وعلم الكلام المذموم ما يجعل فيه العقل عياراً على الكتاب والسنة.
- ٢٥ - لي يد فيه: لي مهارة في علم الكلام.
- البسيط: ثالث بحور العروض. ووزنه: مستفعلن فاعلن، أربع مرات. وراجع البيت رقم (١٢٥) مع شرحه من قصيدة السرمري.

(الرد على قصيدة السبكي)

- (٢٧) فَقَالَ مُرْتَجِلاً لِلْحَقِّ مُنْتَصِراً
عَبْدٌ يُرَدُّ عَلَيْهِ فِي تَأْدِيبِهِ
- (٢٨) يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْحَامِي لِمَذْهَبِهِ
الزَّيْمَتِ نَفْسِكَ أَمراً مَا أَمِرْتَ بِهِ
- (٢٩) تَقُولُ فِي بَاغِضِي صَحْبِ الرَّسُولِ وَمَنْ
يَرَى مَسَبَّتَهُمْ أَصْلاً لِمَذْهَبِهِ
- (٣٠) وَالنَّاسُ فِي غَنِيَّةٍ عَنِ رَدِّ إِنْكَهَارِهِمْ
هَذَا هُوَ الْإِفْكَ لَكِنْ مَا شَعَرْتَ بِهِ
- (٣١) بَلْ رَدُّهُ وَاجِبٌ نُصْحاً وَمَعْدِرَةً
وَنُصْرَةً لِسَبِيلِ الْحَقِّ مِنْ شَيْءِهِ
- (٣٢) إِذَا تَقَوْلُ فِي الصَّحْبِ الْكِرَامِ فَمَا
ذَا تُوجِبُونَ عَلَيْهِ يَأْذَوِي النَّبِيِّ

٢٩ - ج: «يُرِيدُ سَبَّهُمْ أَصْلاً لِمَذْهَبِهِ: (م).

في باغضى صحب الرسول: في الشيعة الروافض الذين هم أخص الحيوان على قول ابن القيم - رحمه الله تعالى - وليس في الدنيا قوم يكون السب عندهم ديناً إلا هؤلاء الطغام، حتى ذكروا في كتبهم عن أئمة آل البيت - وهم منهم براء كذباً وزوراً: أن من يسب فلانا وفلاناً من الخلفاء الراشدين، فلانة وفلانة من أزواج النبي ﷺ المطهرات فله من الثواب كذا وكذا. فلعنة الله على الظالمين. (راجع البيت رقم (١١) مع شرحه من هذه القصيدة)

٣٠ - الشطر الاول من البيت للسبكي.

٣٢ - ج: «(ص ٢١): يا أولى النبه (م). وهم أهل الفطنة والدكاء والعقل.

(٣٣) وَقَدْ عَلِمْتُمْ بِأَنَّ الشَّخْصَ دَاعِيَةً
إِلَى الضَّلَالِ بِأَنَّ رَبِّهِ وَلَا شُبَّهِ

* * *

(افتراءات على شيخ الإسلام)

(٣٤) وَمَا نَسَبْتُمْ إِلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ تَقَى
الدِّينِ أَحْمَدَ أَمْرٌ لَا يُحْصَى بِهِ

(٣٥) مِنْ قَوْلِكُمْ: خَلَطَ الْحَقُّ الْمُبِينُ بِمَا
يَشْوِبُهُ كَدْرٌ فِي صَفْوِ مَشْرَبِهِ

(٣٦) يُحَاوِلُ الْحَشْوُ أَنْ يَكَانَ فَهُوَ لَهُ
حَيْثُ سِيرَ بَشْرُقٍ أَوْ بَمَغْرِبِهِ

٣٣ — «ج»: بلا ترديد مشتبه (م).

معروف أن الحلبي كان داعية إلى الرفض. وألف كتابه «مناهج الكرامة» لأجل الملك
الجائتو (خدا بنده) من أحفاد جنكيز خان.

فالحكم على الداعية إلى البدعة يختلف عن الحكم على غير الداعية، فالأول
لا بد أن يفضح أمام الملأ من الناس لئلا يقعوا في حباله. والآخر يستحسن أن يناقش
معه ليرجع عن بدعته إلى الحق والصواب.

٣٤ — «ج»: «وما عزوتم إلى الشيخ الجليل أبي الهـ عباس» (م).

أمر لا يخص به: هو ليس بمتفرد به، بل قاله غيره من كبار علماء السلف
المتقدمين.

٣٥ — «ج»: في قولكم، والبيت من قصيدة السبكي غير الكلمة الأولى.

٣٦ — من قصيدة السبكي.

وقد تقدم ما يتعلق بالحشو في شرح البيتين (٤٣، ٥١) من قصيدة السروري.

وسياتي في البيت رقم (٤٥) وما بعده، من هذه القصيدة.

- (٣٧) يَرَى حَوَادِثَ لَا مَبْدَأَ لِأَوَّلِهَا
- فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُظَنُّ بِهِ
- (٣٨) لَقَدْ عَلِمْتُمْ بِأَنَّ السَّادَةَ السَّلْفَ أَلْ
- حَاضِينَ مَا خَرَجُوا عَمَّا أَقْرَبِهِ
- (٣٩) هُمُ الْقُرُونُ الْأُولَى نَصَّ الرَّسُولُ عَلَيَّ
- تَفْضِيلِهِمْ وَأَزَّالُوا كُلَّ مُشْتَبِهِهِ
- (٤٠) لَكِنْ رَدَدْتُ عَلَيْهِ فِي مَقَالَتِهِ
- فَقَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَادِرٍ وَأَنْتَبِهِهِ
- (٤١) كَذَا الْأَيْمَةُ أَهْلُ الْحَقِّ كُلُّهُمْ
- يَرُونَ مَا قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا جَبَّهِ

٣٧ - مضى مبحث إمكان وجود حوادث لا أول لها في شرح البيت رقم (٥٩) من قصيدة السرمري. وراجع كتاب «دعوة شيخ الإسلام» للتفصيل في هذا الموضوع. وسيأتي أيضا في البيت رقم (٥٧) وما بعده من هذه القصيدة.

٣٩ - «ج»: هم القرون الأولى في نص سيدنا حازوا الفخار بأمر غير مشتبه (م). ورد عن ابن مسعود فيما صح عن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته» (رواه احمد والبخارى ومسلم، والترمذي)

هذه هي القرون المشهود لها بالخير التي نص النبي ﷺ على تفضيلها على غيرها من القرون.

وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الموضوع إلى ما ذهب إليه أهل هذه القرون المفضلة.

٤٠ - «ج»: أي رددت أيضا على السلف (م).

٤١ - «ج»: ثم الأئمة (م).

(٤٢) فَرُدُّكُمْ لَيْسَ مَخْصُوصاً بِوَاحِدِهِمْ
بَلْ بِالْجَمِيعِ وَهَذَا مَوْضِعُ الشَّبَهِ

(٤٣) هَلَّا جَمَعْتَ الْأَلَى قَالُوا مَعَالَتُهُ
لَيْسَتَيْنِ خَطَاهُمْ مِنْ مُصَوِّبِهِ

(٤٤) فَكُلُّهُمْ خَلَطُوا الْحَقَّ الْمُبِينَ بِمَا
يَشُوُّهُ كَدَّرَ فِي صَفْوِ مَشْرِبِهِ

(فرية الحشو والتجسيم)

(٤٥) إِنْ كَانَ ذَلِكَ حَشْوِيًّا لَدَيْكَ يَرَى
وَكُلُّهُمْ أَنْتَ تَقْفُو إِثْرَ سَبْسَبِهِ

٤٤ - «ج»: خلط (م).

٤٥ - «ج»: فكلهم كان حشويًا لديك يرى (م).

«تقفو إثر سبسه»: تتبع شاردة ووارده. وراجع شرح البيت رقم (١٧) من

هذه القصيدة.

- (٤٦) فَالْحَشْوُ فِرْيَةٌ وَجَهْمِيٌّ وَمَعْتَزِلِيٌّ
فَأَمْدَحُ وَذُمَّ بِمَا جَاءَ الْكِتَابُ بِهِ
- (٤٧) وَأَنْظُرُ لَوَازِمَ مَا حَاوَلْتَهُ طَلَبًا
فَنِيَّةُ الْمَرْءِ تُتْلَفَى عِنْدَ مَطْلَبِهِ
- (٤٨) وَتُحَذَّرُ أَدِلَّةُ مَا قَالُوهُ وَاضِحَةً
مِنَ الْكِتَابِ وَدَعُ مَا قَدْ هَدَوْتَهُ بِهِ

٤٦ — هذا البيت ساقط في «ج». (م).

اتهام السبكي شيخ الإسلام بالحشو والتجسيم ليس جديدا. بل اتهمت الجهمية والمعتزلة أهل السنة والحديث بهذه الفرية. وزد إلى ذلك أن هذه الألفاظ لم يرد ذكرها في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله ﷺ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله تعالى — رداً على الكلاني: «... ذم للناس بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ...»

أما هذه الألفاظ الثلاثة (الحشو والتشبيه والتجسيم) — وكذا «الحيز والجهة» — فتاواه: ٥ / ٢٩٨) فليست في كتاب الله، ولا في حديث عن رسول الله ولا نطق بها أحد من سلف الأمة وأئمتها لانفيا ولا إثباتا.

وأول من ابتدع الذم بها «المعتزلة» الذين فارقوا جماعة المسلمين. فاتباع سبيل المعتزلة دون سبيل سلف الأمة ترك للقول السديد الواجب في الدين، واتباع لسبيل المبتدعة الضالين.

وليس فيها ما يوجد عن بعض السلف ذمه إلا لفظ «التشبيه» فلو اقتصر به لكان له قنوة من السلف الصالح....» (فتاوى شيخ الإسلام: ٤ / ١٤٥ — ١٤٧)

وإلى هذا أشار الناظم بقوله: فامدح وذم بما جاء الكتاب به

٤٧ — «ج»: انظر إلى مطلب حاولته طلباً
فسنة المرء (م).
تلقى: توجد.

٤٨ — «هدوت»: من الهديان وهو الكلام غير المعقول.

- (٤٩) فَالرُّهُ سُبْحَانَهُ مَا زَالَ مُتَّصِفًا
بِكُلِّ وَصْفٍ كَمَالٍ عِنْدَ مُوجِبِهِ
- (٥٠) ذَاتِيَّةٌ وَكَذَا فِعْلِيَّةٌ وَرَدَّتْ
بِهَا النُّصُوصُ بِلَا رَيْبٍ وَلَا شُبْهِ
- (٥١) كَمَا تَرَاهَا عَلَى قِسْمَيْنِ قَائِمَةً
بِهِ يَقِينًا يَرَاهَا مَنْ أَقْرَبَ بِهِ
- (٥٢) هُوَ الْقَدِيمُ بِأَوْصَافٍ مُنَزَّهَةٌ
عَنِ الْحُلُوثِ كَمَا تَأْتِيكَ فَانْتِبِهْ
- (٥٣) حَتَّى سَمِيعٌ بَصِيرٌ قَادِرٌ صَمَدٌ
فَرْدٌ جَلِيلٌ عَظِيمٌ الشَّانِ فَارْضَ بِهِ

٤٩ — قال صاحب «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ١٢٧):

«إن الله تعالى لم يزل متصفاً بصفات الكمال:، صفات الذات وصفات الفعل. ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها، لأن صفاته سبحانه صفات كمال فقد لها صفة نقص. ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكلام بعد أن كان متصفاً بضده....» وراجع شرح البيت رقم (٦٧) من قصيدة السرمري.

٥٠ — في «ج» بدل هذا البيت والبيت الذي قبله:

فلإله صفات الذات قد وردت بها النصوص بلا ريب ولا شبه (م).

٥٢ — «القديم»: ليس القديم من أسماء الله الحسنى وإنما من أسمائه الحسنى في هذا المعنى هو: الأول.

قال صاحب «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ١١٢ — ١٣ = ط. ثامنة):

«وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى القديم، وليس هو من الأسماء الحسنى... ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لافئما لم يسبقه عدم...»

وجاء الشرع باسمه «الأول»، وهو أحسن من القديم، لأنه يشعر بأن ما بعده

آيل إليه وتابع له، بخلاف القديم. والله تعالى له الأسماء الحسنى لا الحسنه»

- (٥٤) فَهَذِهِ كُلُّهَا ذَاتِيَّةٌ وَرَدَّتْ
وَمِثْلُهَا فِي الْمَعَانِي غَيْرَ مُشْتَبِهٍ
(٥٥) كَذَا وَفِعْلِيَّةٌ فَانظُرْ مِثْلَهُمَا
وَقِسْ عَلَيْهِ وَرَاعِ الْفَرْقَ تَنْجُ بِهِ
(٥٦) يُحِبُّ يَبْغِضُ يَرْضَى يَسْتَجِيبُ يَرَى
يَجِيءُ يَأْتِي بِلا كَيْفٍ وَلَا شَبَّهِ

(إمكان وجود حوادث لا أول لها)

- (٥٧) وَخَالِقٌ قَبْلَ مَخْلُوقٍ يُكَوِّنُهُ
وَقَاهِرٌ قَبْلَ مَقْهُورٍ يَكُونُ بِهِ
(٥٨) وَرَاحِمٌ قَبْلَ مَرْحُومٍ فَيَرْحَمُهُ
وَرَازِقٌ قَبْلَ مَرْزُوقٍ بِأَضْرِبِهِ
(٥٩) عَنِ أَمْرِهِ صَدَرَ الْمَخْلُوقُ أَجْمَعُهُ
وَالْأَمْرُ وَيَحْكُ لَا شَكَّ يُقُومُ بِهِ
(٦٠) وَقَدْ تَكَلَّمَ رَبُّ الْعَرْشِ بِالْكِتَابِ الْإِلَهِيِّ
مُنزَلَاتٍ كَلَاماً لَا شَيْبَةَ بِهِ

٥٥ — «ج» (ص ٢٢) كذا فعلية ... (م).

٥٨ — أضربه: أنواعه.

٦٠ — في هذا البيت وما قبله من الآيات رد على شيعة الجهم من أهل النفي والتعطيل. وقال

الإمام ابن قيم الجوزية — رحمه الله — فهم:

ونفوا كلام الرب جلَّ جلاله وقضوا له بالخلق والحدثان =

- (٦١) وَلَمْ يَزَلْ فَاعِلًا أَوْ قَائِلًا أَرْلًا
 إِذَا يَشَاءُ وَهَذَا الْحَقُّ فَارِضٌ بِهِ
 (٦٢) هَذِي حَوَادِثُ لَا مَبْدَأَ لِأَوَّلِهَا
 بِالنَّصْرِ فَافْهَمُهُ يَا نَوْمَانُ وَانْتَبِهْ
 (٦٣) إِذْهَى صِفَاتٌ لِمَوْصُوفٍ تَقُومُ بِهِ
 قَدِيمَةٌ مِثْلُهُ مِنْ غَيْرِ مَا شَبَّهِ
 (٦٤) وَمَذْهَبُ الْقَوْمِ مَرُوهَا كَمَا وَرَدَتْ
 مِنْ غَيْرِ شَائِبَةٍ التَّكْيِيفِ وَالشَّبَّهِ

= قالوا وليس لربنا سمع ولا بصر ولا وجه فكيف يدان
 وكذلك ليس لربنا من قدرة وإرادة ورحمة وحنان
 كلاً ولا وصف يقوم به سوى ذات مجردة بغير معان
 وحياته هي نفسه وكلامه هو غيره فاعجب لذا البهتان
 (النونية : ١ / ٢٦ - ٢٨)

- ٦١ - راجع شرح البيت رقم (٦٧) من قصيدة السرمري.
 ٦٢ - أى أن تسليمنا بما وردت به النصوص من أن الله تعالى متكلم فاعل منذ الأزل، هو تسليم بوجود حوادث لامبدأ لأولها. (م).
 راجع التفصيل في مسألة «إمكان وجود حوادث لا أول لها» في شرح البيت رقم (٥٩) من قصيدة السرمري، وكتاب «دعوة شيخ الإسلام» (المبحث المذكور)
 ٦٣ - «ج»: إذهل ... (م).
 قديمة مثله: تقدم الكلام آنفاً في صفة «القديم» في شرح البيت رقم (٥٢) من هذه القصيدة.
 ٦٤ - «ج»: «ومذهب القوم مروى كما وردت» (م).
 مروها: أجزوها.

- (٦٥) وَلَا يَرُونَ بِتَعْطِيلِ الصِّفَاتِ كَمَا
 يَقُولُ جَهْمٌ وَمَنْ وَالَاهُ فِي الشُّبْهِ
 (٦٦) مَا شَبَّهَ اللَّهُ إِلَّا عَابِدٌ صَنَمًا
 يُذَلِّي بِأُخْبَثِ مَعْبُودٍ وَأَغْرِبِهِ
 (٦٧) وَلَا يُعْطَلُ إِلَّا عَابِدٌ عَدَمًا
 وَلَيْسَ يَدْرِي لَهُ رَبًّا يَلُودُ بِهِ
 (٦٨) سِوَى أَبَاطِيلَ مَا يَخْتَارُهُ عَبَثًا
 يَرَى أَمَانِيَّتَهُ تَسْرِي بِمَرْكَبِهِ

٦٥ - إن سلف هذه الأمة يَمْرُونَ الصفات كما جاءت من غير تعطيل، ولا تأويل ولا تشبيه ولا تكييف. ولكن جهم بن صفوان ومواليه ينكرونها، كما قال ابن القيم: جهم بن صفوان وشيعته الألى جحدوا صفات الخالق الديان بل عطلوا منه السماوات العلى والعرش أدخلوه من الرحمن راجع شرح البيت رقم (٦٥) المتقدم من هذه القصيدة.

٦٦ - قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «هذه أمثال حسان مضروبة للمعطل والمشبه والموحد - ثم ذكر عشرة أمثلة ومنها - :
 المثل السادس:

قلب المعطل متعلق بالعدم فهو أحقر الحقير. وقلب المشبه عابد للصنم الذي نحت بالتصوير والتقدير. والموحد قلبه متعبد لمن (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

٦٧ - «المعطلة» هم الذين ينفون صفات الله كالجهمية والمعتزلة والفلاسفة والإسماعيلية، على تفاوت بينهم في هذا النفي والتعطيل. (م).
 يلود به: يلجأ إليه.

٦٨ - «ج»: لمركبه. (م).

أمانيته: جمع أمنيّة.

تسرى بمركبه: تسير في عامة الليل.

(٦٩) لَا يَسْتَفِيقُ إِلَى مَا جَاءَ مِنْ أَثَرِهِ
بِمُفْرَدِ الْقَوْلِ مِنْهُ أَوْ مُرَكَّبِهِ

(٧٠) وَالْجَهْمُ مَعْبُودُهُ يَنْغِي تَطْلُبُهُ
وَلَيْسَ يَفْهَمُ إِلَّا مَا أَشَارَ بِهِ

(٧١) وَالْإِتِّحَادِيُّ مَعَ أَهْلِ الْحُلُولِ لَهُمْ
تَحَلُّلٌ كَنْفَاةِ الْجَهْمِ فَادِرٍ بِهِ

(٧٢) مِنْ دَرَبِهِ دَخَلُوا فِي كُلِّ فَاسِدَةٍ
رَاجَتْ عَلَيْهِمْ وَمَالُوا مَيْلَ مَغْرِبِهِ

-
- ٦٩ — لا يستفيق: لا يسترجح.
٧٠ — جهم: هو ابن صفوان السمرقندي، الضال المبتدع زرع شراً عظيماً.
وكان من أكذب الناس على الله، وأعظمهم فتنة وضلالة في الدين.
راجع: ميزان الاعتدال للذهبي: ١ / ٤٢٦، وشرح البيت رقم (٢٦) من قصيدة
السرمرى.
٧١ — في المطبوعة (مع منهاج السنة):
«مجال في كنفات الجهم فادر به.» — والذي أثبتته هو ما في «ج». (م).
تخلل: نفوذ، وخطلة، وخصلة.
٧٢ — «ج»: مفسدة. (م).
دربه: بابه.

(مسألة الطلاق ثلاثاً)

(٧٣) وَمَا رَدَدْتُ عَلَيْهِ فِي الطَّلَاقِ فَمَا
حَقَّقْتَ نَقْلًا وَلَا عَقْلًا ظَفَرْتُ بِهِ

(٧٤) بَلْ فَاسِدُ الْقَصْدِ أَعْمَى الذُّهْنِ مِنْكَ كَمَا
هِيَ عَادَةُ اللَّهِ فِي شَأْنِ لِمَذْهَبِهِ

(٧٥) نَزَلَتْ حَوْلَ حِمَاهُ كَيْ تُنَازِلَهُ
فَمَا عَلَوْتُ عَلَيْهِ بَلْ عَلَوْتُ بِهِ

٧٣ - «ج»: عقلا ولا نقلا ... (م).

ألف التقى السبكي عدّة رسائل في مسألة الطلاق، ردّ فيها، على اختيارات شيخ الإسلام في هذه القضية المهمة. ومن رسائل السبكي:

* «الدرة المضيئة في الردّ على ابن تيمية»

* «نقد الاجتماع والافتراق في مسائل الأيمان والطلاق»

* «النظر المحقق في الحلف بالطلاق المعلق».

وقد فصلّ شيخ الإسلام القول في هذه المسائل في عديد من كتبه. كما تقدّم في شرح البيت رقم (٨٦) وما بعده من قصيدة السرمري. وراجع التفصيل في كتاب «دعوة شيخ الإسلام» (مبحث الطلاق) (٢٦٨ - ٢٧٩)

٧٤ - «ج»: أعياء (الذهن) - «هو» (بدل هي).

في الأصل (المطبوع): «فيمن شأن مذهبه». والصواب ما أثبتته. وفي «جلاء العينين»:

«في قال لمذهبه»، وهو بمعناه. (م).

٧٥ - «ج»: (علوت) عليه. وهو خطأ. (م).

حماء: محميه.

تنازله: تقائله، تقابله.

- (٧٦) وَقَدْ أَجَابَكَ فَاَنْظُرْ فِي الْجَوَابِ تَرَى
 سَيْفًا تَجُولُ الْمَنَائِبَا عِنْدَ مَضْرِبِهِ
 (٧٧) أَخَذَتْ مِنْهُ عُلُومًا فَانْتَصَرَتْ بِهَا
 عَلَى سِوَاهُ وَكَانَتْ مِنْ مُهَذَّبِهِ
 (٧٨) وَحَزْنُهَا مُجْمَلَاتٍ مِنْ مُفْصَلِهِ
 فَفَصِّلِ الْآنَ مَا أَجْمَلْتَ تَحْظَ بِهِ
 (٧٩) وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ سَارَتْ رَكَائِبُهُ
 يَقْفُو خُطَاهُ فَسَائِلٌ مِنْ مُجْرِبِهِ
 (٨٠) وَإِنْ تَبَجَّحْتَ بِالرَّدِّينِ لَسْتَ لَهُ
 كُفُوًّا وَلَا أَهْلٌ هَذَا الْعَصْرِ فَانْتَبِهِ

٧٦ — «ج» (ص ٢٣):

قد أجابك فيها خير أجوبة كالسيف جالت منايا عند مضربه (م).
 المنايا: جمع المنية: الموت.

راجع فهرس رسائل شيخ الإسلام في توضيح مسألة الطلاق المختلف فيها في شرح
 البيت رقم (٨٦) من قصيدة السروري.

٧٧ — مهذبه: ملخصه.

٧٨ — حزنها: جمعها.

تحظ به: ترض به، وزنا ومعنى.

٨٠ — «ج»: وإن تبجحت في رد فلسك له (م).

تبجحت: فرحت.

بالردين: أى في مسألتين: «الطلاق» وشد الرحال إلى القبور. وسيأتي ذكر شد
 الرحال والزيارة في البيت رقم (٨٨) من هذه القصيدة.

- (٨١) كَمْ بَحْرٍ عِلْمٍ أَتَاهُ عَادَ سَاقِيَةٌ
 وَكَمْ أَزَالَ صَدَى جَهْلٍ بِصِيْبِهِ
- (٨٢) وَمَا نَرَى لَكُمْ فِي الْخَلْقِ فَائِدَةً
 غَيْرَ التَّعْمِ فِي النَّعْمَاءِ مِنْ شُبِّهِ
- (٨٣) أَيْنَ الثَّرِيًّا مَكَانًا فِي تَرْفِعِهَا
 مِنَ الثَّرَى؟ قَالَ هَذَا كُلُّ مُتَّبِهِ
- (٨٤) مَنْ ذَا يَقِيْسُ نَقْيَ الْجِلْدِ مِنْ دَرَنِ الدُّ
 نِيًّا وَأَمْرَاضِهَا يَوْمًا بِأَجْرِبِهِ
- (٨٥) لَوْ كَانَ عِنْدَكَ إِنْصَافٌ وَمَكْرَمَةٌ
 وَجُودٌ مَعْرِفَةٍ أَوْ ذَهْنٌ مُتَّبِهِ

٨١ — الشطر الثاني في الأصل: وكم جهول أتاه صار منته ...، والذي أثبتناه في (ج) وهو أجود. (م).

«ج»: صار (ساقية) ... (م).

ساقية: نهر صغير.

صدى: الحشو، الزايد، الوسخ.

بصيبه: بمطره، والمراد به العلم.

٨٢ — راجع شرح البيتين (٩٣، ١٤٣) من قصيدة السرمري.

٨٣ — الثريا: اسم النجم.

الثرى: التراب الندى.

ويقال: أين الثرى من الثريا.

٨٤ — درن: وسخ.

أجرب: الذي به جرب.

٨٥ — «ج»:

لو كان عندكم إنصاف مكرمة أو نقد معرفة أو ذهن منته (م).

- (٨٦) لَكُنْتَ تَقْفُو وَرَاهُ قَفْوٌ مُجْتَهِدٌ
 عِلْمًا وَدِينًا وَأَمْرًا تُفْلِحَنَّ بِهِ
- (٨٧) لَوْ وَفَّقَ اللَّهُ أَهْلَ الْأَرْضِ قَاطِبَةً
 إِلَى الصَّوَابِ لَسَارُوا خَلْفَ مَذْهَبِهِ

(قضية شد الرحال إلى القبور)

- (٨٨) وَمَا نَسَبْتُمْ إِلَيْهِ عِنْدَ ذِكْرِكُمْ
 تَرَكَ الزِّيَارَةَ أَمْرٌ لَا يَقُولُ بِهِ

٨٦ — تقفو: تتبع.

٨٧ — قال الدكتور محمد خليل هراس: «هذه دعوة ابن تيمية. إصلاح وإحياء وتجديد. فهو بحق أبو النهضة الإسلامية الحديثة، وواضع أساسها. وجميع دعاة الإسلام من بعده إنما بهديه اقتنوا، وعلى كتبه تخرجوا» (ابن تيمية السلفي: ص ١٩٨، طبعة اليوسفية ١٩٥٢ م).

وقال الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق:

«ولا أعلم لليوم مسألة عقائدية أو أصولية دار فيها بين أبناء الإسلام لفظ إلا وجلّاهم هذا الإمام العظيم، الذي لاغنى اليوم لمسلم يريد أن يعرف الإسلام الحقيقي، عن مطالعة كتبه والتزوّد من علمه.» (على ظهر غلاف «لمحات من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية»).

٨٨ — «ج»: امرأ (م).

راجع شرح البيت رقم (٩٢) من قصيدة السرمري للتفصيل في مسألة زيارة القبور وشد الرحال إليها، وكتاب «دعوة شيخ الإسلام» مبحث شد الرحال إلى القبور.

(٨٩) فَقَدْ أَجَابَكُمْ عَنْ ذَا بِأَجْوَبَةٍ
أَزَالَ فِيهَا صَدَى الْإِشْكَالِ وَالشُّبْهِ

(٩٠) وَقَدْ تَبَيَّنَ هَذَا فِي مَنَاسِكِهِ
لِكُلِّ ذِي فِطْنَةٍ فِي الْقَوْلِ مُعْرِبِهِ

(٩١) رَمَيْتُمُوهُ بِبُهْتَانٍ يُشَانُ بِهِ
فَاللَّهُ يُنصِفُهُ مِمَّنْ رَمَاهُ بِهِ

(٩٢) وَفِي الْجَوَابِ أُمُورٌ مِّنْ تَدَبَّرَهَا
سَقَى الْأَنْامَ بِهَا مِنْ صَفْوٍ مَشْرَبِهِ

٨٩ — «ج»: فيها (بدل «عن ذا») (م).

وقد ردَّ شيخ الإسلام في هذه القضية على عدَّة من علماء عصره في كتب
مستقلة، ومنها:

* الردَّ على الإخناني.

* الجواب الباهر.

* المنسك القديم، والمنسك الجديد — وغيرها من الفتاوى والكتابات.

٩٠ — مناسكه: أى كتبه التي تتعلق بمناسك الحج. مثل: المنسك القديم، والمنسك الجديد،
معربه: مبينه، والمفصح عنه.

٩١ — يشان: يعاب.

وكذلك رماه الإخناني في هذه المسألة بما لم يقله. ويين ذلك شيخ الإسلام في
كتابه «الردَّ على الإخناني».

(٩٣) وَلَمْ يَكُنْ مَانِعاً نَفْسَ الزِّيَارَةِ بَلْ
شَدَّ الرَّحَالَ إِلَيْهَا فَادْرٍ وَأَتْبَه

(٩٤) تَمَسَّكَ بِصَحِيحِ النَّقْلِ مَتَّبِعاً
خَيْرَ الْقُرُونِ أَوْلَى التَّحْقِيقِ وَالنَّبَه

(٩٥) مَعَ الْأَيْمَةِ أَهْلِ الْحَقِّ كُلِّهِمْ
قَالُوا كَمَا قَالَ قَوْلًا غَيْرَ مُشْتَبِه

(٩٦) وَقَدْ عَلِمْتَ يَقِيناً حِينَ وَافَقَهُ
أَهْلُ الْعِرَاقِ عَلَى فُتْيَاهُ فَافَتْ بِهِ

- ٩٣ — الشطر الثاني في «ج»: ... إليها فوق مركبه. (م).
ولاريب أن زيارة القبور مستحبة، وقرر ذلك شيخ الإسلام في كتبه بما لامزيد عليه ولا ينكره إلا معاند مكابر.
والذي نهى عنه شيخ الإسلام هو شد الرجال إلى القبور، استدلالاً بحديث النبي ﷺ: «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ ...» (البخارى: ٣/ ٦٣؛ ومسلم رقم (١٣٩٧) عن أنى هريرة رضي الله عنه)
٩٤ — «ج»: مستمسكاً. الألى جاءوا بمذهبه (م).
وقد تقدم آنفاً، الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان. وهو مذهب القرون المشهود لها بالخير في حديث النبي صلى الله عليه وسلم.
٩٥ — راجع «الرد على الإحناني» (٧ - ١٢)
٩٦ — «ج»: فانتبه (بدل: فافت به) ... (م).
لقد وافق أهل العراق على ماذهب إليه شيخ الإسلام في مسألة شد الرجال إلى القبور، وقاموا في الانتصار له والدفاع عنه. (مجموع فتاواه. ٢٧/ ١٨٢ - ١٨٣، ١٩٣)

(الدفاع عن شيخ الإسلام والإشادة بذكره)

- (٩٧) هَذَا وَقَدْ قُلْتَ فِيمَا قُلْتَ مُرْتَجِلاً
فِيمَا تَقَدَّمَ قَوْلًا غَيْرَ مُنْجِبِهِ
(٩٨) لَوْ كَانَ حَيًّا يَرَى قَوْلِي وَيَسْمَعُهُ*
رَدَدْتُكَ مَا قَالَ رَدًّا غَيْرَ مُشْتَبِهِ
(٩٩) فَأَبْرُزْ وَرُدِّ تَرَى وَاللَّهِ أَجْوَبَةٌ
مِثْلَ الصَّوَاعِقِ تُرْدِي مَنْ تَمْرِبُهُ
(١٠٠) عَقْلًا وَنَقْلًا وَأَيَاتٍ مُفَصَّلَةً
مِنْ كُلِّ أُرْوَعٍ شَهْمِ الْقَلْبِ مُنْتَبِهِ
(١٠١) مَاضِي الْجَنَانِ كَحَدِّ السَّيْفِ فِكْرُهُ
يُرِيكَ نَظْمًا وَنَثْرًا فِي تَأْدِيبِهِ

-
- ٩٧ - مرتجلاً: تكلمت كلاماً بدون أن تهتبه.
غير منجبه: خلاف الأولى والمختار، باطل.
وفيه إشارة إلى قول السبكي:
هذا الذي قاله السبكي مرتجلاً وللبيسط انتمى في بعض أضربه
- ٩٨ - من آيات السبكي.
- ٩٩ - الصواعق: جمع صاعقة: وهي نار تسقط من السماء.
تردى: تهلك.
- ١٠٠ - أروع: من يعجبك بحسنه وجهارة منظره، أو بشجاعته.
شهم القلب: الذكي الفؤاد المتوقد.
- ١٠١ - الجنان: القلب.

- (١٠٢) وَقَادُ ذِهْنِي إِذَا جَالَتْ قَرِيحَتُهُ
يَكَادُ يُخْشَى عَلَيْهِ مِنْ تَلَّهُبِهِ
- (١٠٣) يُقَابِلُونَ الَّذِي يَأْتِي بِمُشْتَبِهِ
مِنَ الْكَلَامِ وَلَا يَخْشَوْنَ ذَا النَّبِيِّ
- (١٠٤) فَمَنْزِلُ الْقَوْمِ فِي أَعْلَى مَنَازِلِهِمْ
فَلَيْسَ ذُو مَنْصِبٍ يُحْمَى بِمَنْصِبِهِ
- (١٠٥) وَأَنْظُرْ إِلَى مَنْ طَغَى فِي الْأَرْضِ مِنْ أُمَّمٍ
وَلَا تُكُنْ سَالِكًا فِي إِثْرِ سَبْسَبِهِ

١٠٢ — تلهبه: اشتعاله.

١٠٣ — هذا البيت ساقط من «ج». (م).

١٠٤ — في الأصل: فنزل (بدل: فمنزل) ... (م).

«ج»: ينجو (بدل: يحمي) ... (م).

فليس ذو منصب: أي إن المنصب الدنيوي لا يساوي عند الله شيئاً، بل الاعتبار عنده سبحانه وتعالى بالتقوى والعمل الصالح ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]

وقال عز من قائل:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ. يَوْمَ لَا يَغْنَى مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الدخان: ٤٠ — ٤٢]

١٠٥ — إثر سبسه: وراءهم في أمكنتهم وبلادهم.

بين الله سبحانه وتعالى طغيان كثير من الأمم في كتابه، ثم إهلاكهم لأجل ظلمهم وعدوانهم، فقال تعالى:

﴿فَكَأَيُّ مَن قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِ مَعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]

وقال: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنِعْمَةَ كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ. كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ. فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ — ٢٩]

(١٠٦) إِنَّ الْإِلَهَ يُجَازِي كُلَّ ذِي عَمَلٍ
بِمِثْلِ إِحْسَانِهِ أَوْ قُبْحِ مَكْسَبِهِ

(١٠٧) هَذَا جَوَابُكَ يَا هَذَا مُوَازَنَةٌ
بَحْرًا وَقَافِيَةٌ فِي النَّظْمِ وَالشَّبَّهِ

(١٠٨) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا تَفَادَ لَهُ
جَارٍ عَلَى مَرٍّ مَا يُقْضَى وَأَطْيَبِهِ

(١٠٩) ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى شَرَفًا
مُحَمَّدِ الْمُصْطَفَى الْهَادِي بِمَذْهَبِهِ

١٠٦ - قال سبحانه وتعالى:

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ﴾ [فصلت:

[٤٦

وقال: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ
هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أُحْصَاهَا، وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا
يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]

١٠٧ - جوابك يا هذا: أى السبكي.

بحرًا: من بحور العروض.

قافية: آخر كلمة في البيت ... أو هي الحرف تبنى عليه القصيدة.

١٠٨ - لانفاد له: لا انتهاء له.

جارٍ على ... في حالة العسر واليسر.

١٠٩ - الشطر الثاني في «ج»:

«محمد المرسل الهادي لمذهبه» (م).

(١١٠) وَالصَّحَابِ الْعُرَّ كُلِّهِمْ
مَا أَشْرَقَ الْجَوْ مِنْ أَنْوَارِ كَوَكِبِهِ

* * *

١١٠ — «ج»: قاطبة (بدل: كلهم) ... (م).
العُرُّ: من القوم، شرفاؤهم.

* * *

تم هذا التعليق على قصيدة أبا عبد الله محمد بن يوسف الشافعي اليماني — رحمه الله
تعالى — بعون الله العزيز القدير. وبنعمته تم المصاحات. وصلى الله على نبينا وعلى آله
وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

بقلم: الراجحي إلى عفو الله الصمد

نيو دلهي :

صلاح الدين مقبول أحمد

يوم الخميس

غفر الله له ولو الديه وإخوانه ومشايخه

٢٢ / ١١ / ١٤١١ هـ

٦ / ٦ / ١٩٩١ م.

فهرس محتويات الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محتويات الكتاب

٥	* بين يدي الكتاب
٧ — ٣٥	* التمهيد:
٨	— زوال بغداد: دروس وعبر.
١٠	— تدمير الوزير ابن العلقمي الرافضي في تدمير الخلافة.
١٠	— تقليل قوام الجيش.
١١	— معاداة أهل السنة.
١٢	— توجس ابن العلقمي لإرهاصات اليقظة في أهل السنة.
١٣	— أحداث ونكبات.
١٦	— ما بين ابن العلقمي والنصير الطوسي.
١٧	— دورهما الشرير في زوال بغداد.
١٨	— تتوارث الشرور والأحقاد.
١٩	— ابن المطهر الحلبي والملك خداينده.
١٩	— أسباب تشيع الملك المذكور.
٢٠	— حظوة الحلبي عند الملك.
٢١	— استغلال الحلبي رتبته لنشر الرفض والتشيع.
٢٢	— كتاب «منهاج الكرامة» للحلبي.
٢٣	— بحث أهل السنة عمن يناقض هذا الكتاب.
٢٤	— كتاب «منهاج السنة» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

- كذب مفضوح في كتاب مطبوع (تعليقاً). ٢٥
- منهاج السنة في نظر بعض العلماء. ٢٧
- تقى الدين السبكي ومنهاج السنة النبوية. ٣٠
- قصيدة السبكي في الرد على ابن تيمية. ٣١
- سبب تأليف هاتين القصيدتين. ٣٣
- * قصيدة «الحمية الإسلامية» للسرّمرى. ٣٧ — ٩٥
- نبذة عن الناظم السرّمرى. ٣٩
- نبذة عن القصيدة. ٤٥
- * نص القصيدة ٥٣ — ٩٥
- مقدمة الناظم. ٥٣
- تقصير السبكي في الرد على الروافض. ٥٥
- مؤاخذات السبكي على شيخ الإسلام والرد عليها. ٦١
- تهمة الحشو والتجسيم والرد عليها. ٦٥
- قضية إمكان حوادث لا أول لها. ٦٨
- مؤاخذات أخرى والرد عليها. ٧٥
- مسألة الطلقات الثلاث. ٧٧
- مسألة شد الرحال إلى القبور. ٨٠
- مناقرات أخرى والرد عليها. ٨٣
- علم الكلام ماله وما عليه. ٨٥
- الانتصار لشيخ الإسلام وبيان علمه وفضله. ٨٩
- الخاتمة. ٩٥

١٢٨ — ٩٩	* قصيدة أبي عبدالله محمد بن يوسف اليمنى.
٩٩	— نبذة عن الناظم وقصيدته.
١٢٨ — ١٠٤	* نص القصيدة
١٠٤	— تمهيد الناظم.
١٠٥	— قصيدة التقى السبكي.
١٠٩	— الرد على قصيدة السبكي.
١١٠	— افتراءات على شيخ الإسلام.
١١٢	— فرية الحشو والتجسيم.
١١٥	— إمكان وجود حوادث لا أول لها.
١١٩	— مسألة الطلاق الثلاث.
١٢٢	— قضية شد الرحال إلى القبور.
١٢٥	— الدفاع عن شيخ الإسلام.
١٢٧	— الخاتمة.
١٣١	— فهرس محتويات الكتاب.

* * *

مطبوعات

مجمع البحوث العلمية الإسلامية

(نيو دلهي - الهند)

- * الزهر النضر في حال الخضر لابن حجر العسقلاني.
- * زوابع في وجه السنة قديما وحديثا.
- * دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة.
- * فكرة المهدي المنتظر للدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوى (تحت الطبع)

الأردية:

- * زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم. (تحت الطبع)
- * التصور القرآني في التوحيد (توحيد كآ قرآني تصور)
- * تقوية الايمان للعلامة إسماعيل الدهلوي.
- * الخمر وسائر المسكرات: تحريمها وأضرارها
- للقاضي بن حجر آل بوطامي.
- * هل نسمع الأموات؟ (كيا مردیے سنتے هیں؟)
- * الأدعية الماثورة

الإنجليزية

- * الخطوط العريضة للعلامة محب الدين الخطيب.
- * الدين الصحيح لأبي أمينة (THE TRUE RELIGION)
- * الإسلام (WHAT IS ISLAM)